تكنولوجيا الاتصال والغزو الثقافى

د. جمال النجار

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م

دار الاتحاد التعاوني للطباعة
ت: ٢٩٥٦٨١٠

تكنولوجيا الاتصال والغزو الثقافى

د . جمال النجار

الطبعة الألى
١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م

دار الاتحاد التعاونى للطباعة
ت ٢٩٥٦٨١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾

سورة النحل آية ٨

مقدمة :

يعيش العالم اليوم ثورة تكنولوجيه ، تمكن الانسان عن طريقها إحكام سيطرته على الطبيعة، وإخضاعها لخدمته وإرادته ، وأكبر الأمثلة على ذلك هو ظهور وسائل الاتصال الفائقة التقدم ، والتى جعلت العالم على اتساعه وترامى أطرافه بمثابة قرية عالمية واحدة ، وإحدى منجزات هذا التطور أو الثورة التكنولوجية البث الفضائى أو القنوات الفضائية التى غزت العالم العربى والإسلامى فى أخريات القرن العشرين ، ومن المؤكد أنها فى تطور وتقدم مستمر ، ونحن نواجه هذا الكم الهائل من هذا البث الوافد ـ برامج ـ مسلسلات ـ أفلام الخ ـ والتي تجذبنا وتشدنا إليها شدا ، ولا نجد مندوحة فى مقاومتها أو التقليل من آثارها ، أو تقديم البديل فى قنواتنا العربية والإسلامية .[(١)]

لذلك فإن من اكبر التحديات التى تواجه الأمة العربية الإسلامية فى هذه الأونه التحدى التكنولوجى فى مجال الاتصال والإعلام ، ولا سيما ونحن نعيش منعطفا تاريخيا ؛ أضحت فيه وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات هى القوة المهيمنة والمسيطرة والموجهه للأفكار والأراء وتشكيل الإتجاهات وصياغة العقول .

وقد أدرك أعداد الأمة الإسلامية فى الغرب والصهاينة منهم على وجه الخصوص أهمية الدور الذى تلعبه وسائل الاتصال الحديثة ومدى تأثيرها

---

(١) د. مرعى مدكور ، الصحافة والمسئولية الاسلامية ، المندوب الصحفى ، القاهرة ، دار الصحوة ، ١٩٨٨ ، صـ ١٥ .

على الأفراد والمجتمعات كافة ، فهى التى تعمل على صنع الرأى العام سياسيا ، وتؤثر علي خطط التنمية الإقتصادية والبنى الفكرية والايديولوجية، فضلا عن ذلك فإن لها دوراً ثقافياً بارزاً فى تنوير الجماهير وإحاطتهم أو إطلاعهم على أفاق جديدة من المعرفة ، وأنماط التفكير السائد فى العالم ، كما أن لها دوراً إجتماعياً مؤثرا من خلال ما تعمل على تغيير السلوك والقيم والعادات والأعراف وأشكال الحياة الاجتماعية . (١)

وهذا يفسر إهتمام صناع القرار السياسي فى الغرب ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية بالذات وانشغالهم بالبحث عن بدائل تضمن إستمرار السيطرة الغربية على مقدرات الأمة الإسلامية ، وقد استقر الرأى على التكنولوجيا الحديثة فى مجال الإتصال والمعلومات ـ كبديل للقوة العسكرية ـ والتي تتمثل فى شبكات الكمبيوتر أو شبكات المعلومات وتزاوجها أو إدماجها بأنظمة الاتصال والأقمار الصناعية .

حيث تقوم هذه الشبكات ببث كميات هائلة من الأخبار والمعلومات عبر دوائر عابرة للحدود القومية ، وأكثر من ذلك فإنها تصبح بعيدة عن الرقابة المحلية ، ومن ثم فإن هذا التوسع سوف تكون آثاره خطيرة على ثقافاتنا وموروثاتنا العقدية والفكرية . (٢)

مشكلة البحث :

إذا كانت السمة الرئيسية لأي بحث علمى ، هو أن يكون لهذا البحث مشكلة فى حاجة إلى معالجة ، فإن مشكلة هذا البحث تنطلق من

---

(١) مجلة الضياء الإماراتيه ، التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية فى القرن المقبل «الحادى والعشرين» تحقيق صحفى عدد ذو الحجة ١٤١٨ ، ابريل ١٩٩٨ .

(٢) مجلة منار الإسلام عدد ١٢ ، السنه الرابع والعشرون صفر ١٤١٩ يونيو ١٩٩٨ .

فكره مؤداها ، أن هناك علاقة وثيقة بين التفوق التكنولوجى والغزو الثقافى، حيث إن الدول المحتكره للتكنولوجيا أو المتفوقة تكنولوجيا تحاول أن تفرض أنماطا ثقافية وفكرية على الدول الضعيفة أو المستوردة ، كما تحاول صياغة النظم داخل هذه المجتمعات صياغة غربية أو ما يطلق عليه فى عالمنا الاسلامى «التغريب» Westenisation

وقد ظهر فى هذا الصدد عدة نظريات كان أخرها نظرية فوكاياما حول نهاية التاريخ ، وقبلها نظريات التحديث . .الخ ، وهذه الدول وفى مقدمتها «أمريكا» تحاول أن تحقق ذلك من خلال عدة آليات ما من بينها شروط نقل التقنية أو التكنولوجيا ، والشروط التى تفرضها فى حالة القروض ونقل الخبرة وغيرها . (١)

إن هناك فجوة كبيرة بين الدول التى تمتلك التكنولوجيا ، والدول الفقيرة أو التى لا تملك ، هذه الفجوة بين الجانبين فى مجال تقنية الاتصال أدت إلى نوع من الهيمنة والسيطرة للدول المتقدمة علي عملية تدفق المعلومات كما وكيفا علي الصعيد الدولى والمحلى ، هذه السيطرة فى مجال التكنولوجيا والمعلومات تستغلها الدول المتقدمة فى نشر ثقافاتها وخدمة أغراضها سياسيا وإقتصاديا وإعلاميا وقد عرفت بمسميات مختلفة منها الغزو الثقافى أو الهيمنة الثقافية والهيمنة الاعلامية . (٢)

هذه الفجوة التكنولوجية بين البلاد المتقدمة ـ ولا سيما أمريكا ـ

---

(١) د. نبيل السمالوطى ، التنمية التقنية بين الفكر والواقع الاسلامى بحث مقدم إلى ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الاسلامى القاهرة ٢٨ ـ ٢٩ نوفبر ١٩٩٨ .

(٢) د. ساعد العرابي الحارثى ، مسئوليه الإعلام فى تأكيد الهوية الثقافية ، جمادي الأخر ١٤١٩ عدد ١٨ أكتوبر ١٩٩٨ ، كتاب نشرته المجلة العربية السعودية .

والدول الفقيرة ، ومنها الدول العربية والإسلامية بالطبع جعل الغزو الثقافى الامريكى يتسلل مع الكوكاكولا والكاوبوي والمسلسلات التلفزيونية والإذاعية (الجرئ والجميلات - أفلام رعاة البقر) إلى تلك الدول بل وبعض المدن الأوربية على حد سواء ، الأمر الذى حمل رئيس تحرير مجلة «المدرسة الجديدة» ألان دوبونوا على الدعوة إلى تضامن أوربا والعالم الثالث للتخلص من الاستعمار الثقافى الأمريكى ، وفى ذلك يقول : «فلتواصل بلدان العالم الثالث تحرير نفسها من الاستعمار الجديد» أى ما اصطلح على تسميته بالغزو الثقافى فالتفوق ، التكنولوجى للولايات المتحدة أتاح لها أن تسيطر على ٧٠٪ من الحاسبات أو العقول الإلكترونية على مستوى العالم كله ، وأن تفرض بالتالى اللغة الانجليزية «المتأمركه» لغة عالمية فى مجال الاعلام والاتصال ، وأن تتحكم فى نهاية المطاف بالذاكرة الثقافية لشعوب أوربا والعالم .[١]

يقول الكاتب المصرى أحمد عبد المعطى حجازى فى مقال له فى الأهرام القاهرية ، نشعر بالقلق فى هذه الأيام لأن وسائل الاتصال الأمريكية بلغت من الجبروت حدا مهولاً ، أصبحت تهدد به ثقافات الأمم الأخرى وتهاجمها فى عقر دارها ، وتفرض عليها من الأفكار والعادات والقيم ما ترفضه وتأباه ، لأنه لا يفيدها ولا يحفظ عليها شخصيتها ولا يرعي مصالحها . . ونحن لسنا وحدنا فى هذا الموقف وإنما سبقنا الأوربيون أنفسهم إلى التعبير عن شعورهم بالقلق والخوف وإلى الإعلان عن رفضهم لما تحمله إليهم وسائل الاعلام الأمريكية ، ومقاومتهم له بشتى الطرق.[٢]

(١) مجلة الوحدة عدد ٣ ديسمبر ١٩٨٤ .

(٢) الأهرام مقال بعنوان ويوجد بيننا أمد قصى ، ٢٢ يوليو ١٩٩٨ .

لا شك أن الاحتلال فى ثوبه الجديد لم يعد احتلالا للأرض أو للإقتصاد ، بل أصبح احتلالا لعقليات الشعوب ونفوسهم عن طريق وسائل الاعلام ، وأمامنا أمثلة كثيرة وشواهد عديدة على أن الحرب بين الدول الآن هى حرب إعلامية بالدرجة الأولى ، وأن من يسيطر على الإعلام وتكنولوجيا الاتصال يستطيع السيطرة على الدول ، وإحراز أى نصر عسكرى أو سياسى أو اقتصادى وغير ذلك ، ففى حرب الخليج أجمع كل خبراء الاعلام والمحللين السياسين على أنها كانت حربا جديدة سلاحها التلفزيون وزخيرتها كانت المعلومات .

دوافع إختيار موضوع البحث :

ربما كان من الأسباب التى جعلتنى أربط بين تكنولوجيا الاتصال والغزو الثقافى كعنوان للبحث هو ما أجمع عليه الباحثون والخبراء أن وسائل الاتصال هى بالضرورة أدوات ثقافية ، فهى تشكل الوسيلة الأساسية فى الحصول على الثقافة ، وجميع أشكال الإبداع بالنسبة للقطاعات الواسعة من الشعوب ، وعلى الرغم من أن قدراً هائلاً من التعبير الثقافى لا يزال يحتفظ بأشكاله التقليدية المباشرة ، فإن وسائل الاتصال الجماهيرى فى العصر الراهن توفر الزاد الثقافى ، وتشكل الخبره أو المرجعيه الثقافية لملايين من البشر . (١)

إن العلاقة بين تكنولوجيا الاتصال والانفاق عليها وتطويرها والغزو الثقافى علاقة وطيده ، فمنذ الحرب العالمية الثانية والحكومات والشركات شرعت فى تخصيص ميزانيات ضخمة للبحوث العلمية والتكنولوجيا بغية

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العالم الثالث ، صـ ٧٣ عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٨٤ .

تحقيق أهداف متعمدة متبناه ، وفى مقدمة هذه الأسباب ما يسمى بالغزو الثقافى أو ما اطلق عليه عالم الاتصال هربرت شيللر الاستعمار الثقافى[1]، ويصعب على أى باحث أن يفسر أن الاستخدامات التكنولوجيه المترتبة على هذه النفقات الضخمة ؛ قد اكتشفت مصادفة أو تطورت بصورة مستقلة.

ومع هذا فمعظم دول العالم تبدى انبهارا بالوسائل التكنولوجية الحديثة فى مجال الاتصال والإعلام ، وتعتقد أن اقتناءها لهذه الوسائل سوف يمكنها من القضاء على السلبيات التى تعانى فيها وسائل الاعلام الوطنية ، ولكن فى الحقيقة أن تلك الدول لا تدرك أو ربما تتجاهل أن هذه الوسائل تهدف إلى نقل القيم والأفكار وأساليب الحياة المصاحبة لها التى يتم فرضها على مجتمعات العالم الثالث ذات الخلفية الحضارية والإجتماعية التى تتناقض مع هذه الأفكار والمفاهيم .[2]

فضلا عما سبق طرحه فربما كان الدافع أيضاً إلى إجراء مثل هذا البحث أن قضية الأمن الثقافى تطرح نفسها بشدة ، وهي من القضايا التى تشغل بال المشتغلين بالثقافة والإعلام فى السنوات الأخيرة لتحقيق الأمن الثقافى والإعلامى لشعوبنا العربية ، في وجه محاولات الاختراق والغزو الثقافى ، فى عصر ثورة المعلومات والحاسبات الإلكترونية ، وتقنيات الاتصال الجماهيريه العملاقة ، والأقمار الصناعية ، والتوابع الفضائية المسخره للاتصالات المختلفة ، وفي مقدمتها البث الإذاعى والتلفزيونى ، ووكالات الأنباء العملاقة .

(١) هربرت شيللر ، الاتصال والهيمنة الثقافية ، ترجمة الدكتور وجية سمعان ، مراجعة د . مختار التهامى القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

(٢) المرجع الأسبق ، صـ ٧٠ .

لقد ثارت مسألة الدفاع عن الثقافات القومية منذ أوائل الثمانينيات وتبنتها اليونسكو خاصة فى السنوات التى كان فيها الدبلوماسى السنغالى أحمد مختار أمبو مديرا عاما لهذه المنظمة الدولية ، وفى مؤتمر من المؤتمرات التى عقدتها اليونسكو فى تلك الفترة ، أعلن المشاركون فى البحث والمناقشة أن الثقافات القومية تواجه أخطاراً حقيقية ، وأن البلاد المتقدمة عامة والولايات المتحدة بخاصة تملك تقنيات إعلامية خارقة لا تقاس إلى جانبها قدرات البلاد الفقيرة . (١)

وعلى صعيد أخر فإن تكنولوجيا الاتصال تشكل جانبا مهما وحيويا ومكونا مؤثرا من مكونات النظام الاتصالى فى أى قطر من الأقطار ، ويؤثر البعد التكنولوجى على كافة أبعاد السياسة الاتصالية الأخرى ، كما يؤثر كذلك على السياسة الثقافية الوطنية ، ويكون جانبا مهماً منها . (٢)

كل هذا يجعلنا نقرر أن التقنيات المتطورة فى مجال الاتصال والمعلومات بقدر ما هى عون لتقدم الثقافة الانسانية وإثراء المعرفة البشرية غير أنها تشكل فى الوقت ذاته خطراً متزايداً على تلك المجتمعات المتلقية ، التى لا تملك حرية الاختيار أمام هذه الاختراق الثقافى ، وهو أمر يؤدى إلى نتائج سلبيه بالنسبة للثقافات القومية ، ويؤدى إلى عزلة الثقافات المحلية والأصلية وضعفها ، وإلى عملية إحلال لثقافات أخرى ، حتى على مستوى القواعد الجماهيرية إبتداء من العادات والممارسات والسلوك اليومى إلى سلم القيم ، وأنماط الحياة ، مما يغير شخصية تلك المجتمعات باعادة

---

(١) الأهرام ٢٢ يوليو ١٩٩٨ مقال بعنوان ويوجد بينا أمد قصى ، للكاتب أحمد عبد المعطى حجازى .

(٢) د. محمود علم الدين ، تكنولوجيا الاتصال فى الوطن العربى ، مجلة عالم الفكر ديسمبر ١٩٩٤ .

صياغتها على نمط كونى معين ، هدفه فى نهاية الأمر الهيمنة الاقتصادية والسياسية ، ومحو الذاتية والخصوصية وتكريس فكرة العولمة التى تجتاح العالم فى هذا العصر .

هدف الدراسة أو البحث :

تسعى هذه الدراسة إلى طرح ومناقشة مفهوم تكنولوجيا الاتصال والغزو الثقافى ودراسة العلاقة بينهما تأثيرا وتأثراً ، ومحاولة كشف خطورة إمتلاك الدول المتقدمة لتكنولوجيا الاتصال ، وأثر ذلك على مقدرات الأمة العربية والإسلامية والهوية الاسلامية وعلى العادات والتقاليد الشرقية ، ورصد المجالات والأنشطة والوسائل التى يمكن الاستعانة بها فى الإختراق الثقافى أو الغزو الثقافى للأمة العربية والإسلامية، ولمعالجة هذه القضايا ومناقشتها وفى إطار محاولة الباحث استكشاف أبرز المحاور الأساسية التى يقوم عليها البحث ، وما يتشعب عنها فإن البحث يطرح هذه التساؤلات التى تغطى جوانب الدراسة ، وتحقق الأهداف المحددة التى أجريت من أجلها هذه الدراسة .

تساؤلات الدراسة :

لعل أهم ما تطرحه هذه الدراسة من تساؤلات ينبغي على الباحث رصدها ومناقشتها هى ما يلى :

أولاً : ما مفهوم تكنولوجيا الاتصال ؟ وكيف تطور هذا المفهوم ؟

ثانياً : ما مفهوم الغزو الثقافى وكيف تطور هذا المفهوم ؟

ثالثاً : ما خطورة الغزو الثقافى ؟

رابعاً : ما خطورة الهيمنة الغربية على البنى والصناعات الاتصالية ، ولا سيما الأمريكية منها .

خامساً: ما علاقة عولمة تكنولوجيا الاتصال بالغزو الثقافى ؟

سادساً: ما الدور الذى تلعبه وكالات الأنباء الغربية فى الغزو الثقافى؟

سابعاً: ما دور الشركات المتعددة الجنسيات فى الغزو الثقافى ؟

ثامناً: ما تأثير المنتج الاعلامى المستورد فى الغزو الثقافى ؟

تاسعاً: ما خطورة البث المباشر وما دوره في الغزو الثقافى ؟

عاشراً: ما أثر شبكات المعلومات فى الغزو الثقافى ؟

وأخيراً: ما دور الإعلام الغربى فى تشويه صورة الاسلام والمسلمين.

مصادر هذه الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة بالدرجة الأولى على البحوث والدراسات الحديثة التى أجريت حول معالجة أى جانب من جوانب الظاهرة مشكلة الدراسة ، ولا سيما البحوث والدراسات التي القيت فى مؤتمرات علمية جاده ومحافل دولية ، كما اعتمدت هذه الدراسة على بعض الكتب والمراجع العلمية المعاصرة التى قد تتناول قضايا تتصل بشكل أو بأخر بجوانب ذات صله بموضوع الدراسة .

إضافة إلى ذلك اعتمدت الدراسة على المجلات العلمية والدوريات والمقالات التى تنشر فى الصحف والجرائد ، وبخاصة تلك التى كتبها أساتذة وكتاب على درجة من الكفاءة العلمية والمهنية أو صحفيون على درجة كبيره من الخبرة والدراية والممارسة .

مكونات الدراسة:

بعد عرض أهم التساؤلات التى تطرحها الدراسة ، سوف يحاول الباحث الإجابة على هذه التساؤلات المطروحة من خلال عرض ومعالجة

الموضوعات التالية التى تشكل مكونات البحث تتكون هذه الدراسة من الفصول التالية :

١ ـ تكنولوجيا الاتصال « المفهوم والتطور » .

٢ ـ الغزو الثقافى « المفهوم والتطور » .

٣ ـ الهيمنة الغربية على البنى والصناعت الاتصالية .

٤ ـ عولمة صناعة الاتصال والغزو الثقافى .

٥ ـ وكالات الأنباء العالمية والغزو الثقافى .

٦ ـ الشركات المتعددة الجنسيات والغزو الثقافى .

٧ ـ المنتج الاعلامى المستورد والغزو الثقافى .

٨ ـ شبكات المعلومات والغزو الثقافى .

٩ ـ الاعلام الغربى وتشويه صوره الاسلام والمسلمين .

١٠ ـ صورة المسلمين والعرب فى الاعلام الأمريكى .

١١ ـ خاتمة الدراسة وتوصياتها .

١٢ ـ المصادر والمراجع .

١٣ ـ الفهرس .

•••

الفصل الأول

تكنـولوجـيا الاتصـــال

المفهوم والتطور

تكنولوجيا الاتصال « المفهوم والتطور » :

من مستلزمات الفهم السليم والإدراك الرشيد للمسائل والقضايا المطروحه على بساط البحث والدرس ، التحديد الدقيق للمصطلحات والمفاهيم وفقا لمنهج التحليل اللغوى ، الذى يرصد السياق اللفظى للمفردات ويقف على الدلالات والمعانى ، التى تنطوى عليها وترمز إليها ومن هذه المصطلحات المستحدثة فى كتاباتنا المعاصرة مصطلح تكنولوجيا الاتصال ، فما معنى هذا المصطلح ؟

بداية ترجم مصطلح التكنولوجيا إلى اللغة العربية إلى تقنية أو علم التقنية وتشير هذه الكلمة إلى الخروج من العلوم الأساسية الفزياء بأنواعها، والكيمياء بأنواعه . . بتطبيقات عملية تمكننا من تصنيع منتجات نستخدمها فى حياتنا العملية ، سواء فى تعاملنا مع البيئة ومحاولة استثمارها أو فى تحسين مستوى المعيشة ، أو فى التغلب على بعض المشكلات .[1]

ويشير معجم اللغة الانجليزية Oxford dictionary أن كلمة Techni تعنى أسلوب أداء أو المهنة ، وأن كلمة Technology تعنى العلم الذى يدرس تلك المهنة ، وترتبط كلمة تكنولوجيا فى أذهان العامة بالأدوات والألات المتطورة الحديثة التى يبتكرها الانسان لتدعيم قدرته على التعامل مع البيئة التى يعيش فيها ، وفى مجال الكتابة الاعلامية كثيراً ما تظهر كلمة التكنولوجيا مقرونة بكلمة أخرى كالمعلومات أو الاعلام أو

---

(١) أحمد الخطيب / معجم المصطلحات العلمية والفنية ط٥ مطابع مؤسسة جواد ، لبنان ، ١٩٨٠ ، صـ ٦٠٩ ، جميل عبد الله الحبشى ، التنمية الإدراية فى مشاريـع التنمـية الإنسانيـة ، الكتاب العربـى السعودى ، تهامة ، ١٤٠٧هـ ، صـ ١٣ .

الاتصال فيقال تكنولوجيا المعلومات أو تكنولوجيا الاعلام[1] والأفضل أن يقال تكنولوجيا الاتصال لأن الاتصال أشمل وأعم من الاعلام على أساس ان الاعلام يعنى تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأى عام سليم فى مشكلة من المشاكل أو واقعة من الوقائع بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتها وميولها ، فالاعلام وظيفة من وظائف الاتصال وليس هو الاتصال ، فاصطلاح الاتصال حينما يستخدم فإنه يتناول أى ظرف يتوافر فيه مشاركة عدد من الأشياء فى أمر معين ، فهو يتضمن كل العمليات التى يؤثر بمقتضاها الناس على بعضهم البعض ، كما تشير إلى ذلك جيهان رشتى فى تعريفها للاتصال : «إن الاتصال هو العملية التى يتفاعل بمقتضاها مستقبل ومرسل الرسالة - كائنات حية - أو آلات - فى مضامين إجتماعية معينة ، وفى هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات منبهات بين الأفراد عن قضية معينة أو معنى محدد أو واقع معين » .[2]

هذا وإن كان الشائع فى بعض الكتابات العربية المعاصرة أن يطلق مصطلح الإعلام ويراد به الاتصال ، أما تكنولوجيا الاتصال فتعنى «مجمل المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة ، والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية والإدارية المستخدمة فى جمع المعلومات ومعالجتها وإنتاجها وتخرينها واسترجاعها ونشرها وتبادلها ، أى توصيلها إلى الأفراد والمجتمعات ، وهى أيضاً تعنى أو يقصد بها تلك الوسائل المستخدمة فى نقل المعلومات

(١) د. عبد الفتاح عبد النبى ، تكنولوجيا الاتصال والثقافة ، القاهرة ، العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٠، صـ ٧٠ .

(٢) د. جيهان رشتى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة ، دار الفكر العربى، ١٩٧٥ ، صـ ٤٣ ، ٤٤ .

وتداولها على نطاق جماهيرى واسع ، ويقف خلفها تنظيمات مؤسسية تمولها وتديرها وتوجه مضامينها لخدمة أغراض معينة .[1]

وغنى عن الذكر أنه قد حدث تطور هائل فى مجال تقنيات الاتصال والمعلومات ، وحدث تزاوج أو تشابك بينهما إلى مدى أنه أصبح من الممكن جمع وتحرير وإرسال الأنباء والمعلومات من مكان إلى آخر بسهولة ويسر كما تستخدم الآن النظم الالكترونية لتخزين واسترجاع وتحرير ونقل الأخبار والرسائل والصور سلكيا ولا سلكيا ، كما أصبح من الميسور إرسال الأخبار والتقارير الصوتية والمرئية فى وقت واحد معا عن طريق التوابع الصناعية المختلفة إلى محطات أرضية فى جميع أنحاء العالم ، تستطيع بدورها بث الرسائل فى نفس اللحظة بواسطة نظم أرضية إلى المكاتب الرئيسية لوكالات الأنباء ، والصحف ومحطات الإذاعة والقنوات التلفزيونية.[2]

كذلك حدث تطور كبير فى بنوك المعلومات التى تستطيع اختزان كميات هائلة من الحقائق يسهل تصحيحها واستكمالها وتنظيمها والحصول عليها فى التو واللحظة ، بل أصبحت من الأمور التى لا يمكن الاستغناء عنها فى الأنشطة الاعلامية الواسعة النطاق مثل وكالات الأنباء والصحف الكبرى ، كما أدى التطبيق المباشر للمعالجة الآلية للمعلومات على أنظمة الاتصال والإعلام إلى قفزة كيفية فى عمل وكالات الأنباء والصحف والإذاعات سواء فى عمليات جمع الأنباء والمعلومات أو معالجتها واستخدامها وتخزينها .[3]

---

(١) د. محمود علم الدين تكنولوجيا الاتصال فى الوطن العربى ، بحث منشور فى مجلة عالم الفكر ، ديسمبر ١٩٩٤م .

(٢ ، ٣) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العالم الثالث، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٤ ، صـ ٦٨ .

إن العالم الآن يشهد بدايات ثورة جديدة فى تكنولوجيا الاتصال الإنسانى ، أو فى التقنيات أو الوسائل التى اخترعها الإنسان لكى يطور من قدراته على الاتصال بالآخرين ، من أجل توصيل المعلومات إليهم والتأثير فيهم ، ومن ثم فدول العالم العربى والإسلامى تواجه أخطارا عديدة ، بسبب التقدم السريع فى مجالات تكنولوجيا الاتصال ، وتبدو خطورة التقدم المذهل فى عالم التكنولوجيا بظهور الاحتكارات على الصعيد الدولى، حيث تهمين الدول المتقدمة على عناصر التكنولوجيا بشقيها الأجهزة والبرامج ، الأمر الذى هيأ الفرصة أمام عدد من الشركات متعددة الجنسيات لفرض سيطرتها وخدمة مصالحها ، ومصالح النظم التى تتبعها ، حيث تسيطر هذه الشركات التى تنتمى لعدد من الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا واليابان وبريطانيا وهولندا وفرنسا على صناعة الالكترونيات، التى تشمل أجهزة التلفيزيون وأجهزة الراديو والتليكس والهاتف وأجهزة الإرسال والمسجلات ، وكذلك أجهزة الحاسب الآلى والبرمجيات .(١)

أصبحت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات محل اهتمام هذه الدول لأنها تدر ربحا هائلا لدرجة أن المؤرخ البريطانى «توماس ماكولاى» يصرح قائلاً: «لا شئ يمكن أن يدر أموالا أكثر من محطة تلفزيونية سوى دارسك النقود» .

ورغم أن هذه المقولة لا تخلو من المبالغة الا أنها تدل دلالة واضحة أن صناعة تكنولوجيا الاتصال أصبحت فى مقدمة الصناعات لكثير من الدول المنتجة والمصدره للمواد الاعلامية ، لدرجة أن عدداً كبيراً من دول

(١) د. محمود علم الدين تكنولوجيا الااتصال ، مرجع سابق ، مجلة عالم الفكر، ديسمبر ١٩٩٤م .

العالم هجرت صناعة واستغلال الموارد الطبيعية ، واتجهت إلى صناعة المعلومات والتي تنامت بدرجة هائلة فى الأونه الأخيرة ، ففى دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية بلغ عائد وسائل الاعلام التقليدية ١٢٥ مليار دولار سنويا ، وتمثل صناعة الترفيه الأمريكية ثانى أكبر الصادرات الأمريكية بعد صناعة الطائرات ، وعلى المستوي العالمي فإن استثمارات صناعة المعلومات بلغت ١٠٣ تريليون دولار عام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن تصل إلى ٣ تريليون سنويا بحلول عام ٢٠٠٠ أى أن دولاراً من بين ستة دولارات من الدخل العام لشعوب العالم جميعاً سوف يستثمر فى صناعة المعلومات، ولعل ما يؤكد ذلك هو أن أكبر صفقات البيع والدمج بين الشركات والمؤسسات خلال عقدى الثمانينات والتسعينيات هى صفقة تنتمى إلى اقتصاد المعلومات حيث بيعت شركة Telecommuni cation بمبلغ ٣٣ مليار دولار سنويا لشركة Bell ATLantic وهى تعد أكبر صفقة فى تاريخ الشركات العالمية .(١)

لقد استثمرت شركة A.B.C مليون دولار فى أنشطة تلفزيونية أوربية وتبعتها شركة تايم وارنر ، وقد تحولت شبكة cnn إلى قوة دولية فى مجال التلفزيون الكابلى عبر اتفاقيات مع ٩٠ دولة فى العالم وتبث شركة T.v star المملوكة لمردوخ الميليونير اليهودى لأكثر من ٣٠ دولة أسيوية تضم ثلثى سكان العالم ، وقد أدى ذلك إلى ظهور اتحادات واندماج لبعض الشركات مما أدى إلى ظهور ما يسمى بالسلاسل الصحفية مثل مجموعة هيرزنت فى فرنسا ويونير فى السويد وميرور فى بريطانا وشبرنجر فى ألمانيا ومؤسسه «جانيت» التي تصدر ٩٠ صحيفة .

(١) د. حمدى حسن ، التحديات الإعلامية العالمية لأنظمة الاعلام الوطنية فى العالم الاسلامى ، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة الاعلام الدولي وقضايا العالم الاسلامى رابطة الجامعات الاسلامية ، القاهرة ٢٨ ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٩٨ صـ ٤ .

كذلك أدى إلى دخول شركات لا علاقة لها بالنشاط الاعلامى بشراء الشركات العاملة فى مجال الاعلام واندماج كبريات الشركات الاعلامية ، حيث تمت حوالي ٧٧ صفقة بين ١٣ شركة من كبريات الشركات الإعلامية حوالى نصف هذه الصفقات تمت فى أوربا وكندا ، ولعل أكبر هذه الصفقات قيام شركة metromedia ببيع سبع محطات تليفزيون كبرى لروبرت مردوخ وشريك أخر بمبلغ ٢ مليار دولار أدى إلى ظهور شبكة تليفزيون أمريكية رابعة ، والهدف الأساسى وراء هذه الظاهرة هو أن هذه الشركات ذات تكاليف عالية ومخاطر ربح مرتفعة ، والشركات الكبرى وحدها هى التى تستطيع تحمل مخاطر الأرباح أو الفشل المالى ، ولعل تجربتى U S A Today, C.n.n أكبر مثال على ذلك ، فضلا أن هذه الصناعة تحتاج إلى رأس مال كبير وتكاليف عالية ، فصناعة الأفلام الأمريكية تنفق بالمتوسط ٥٩ مليون دولار على الفيلم الواحد ، ولا شك فى أن هذا مبلغ ليس بوسع المنتجين الأوربيين أو الهنود تحمله ولا حتى التفكير فيه كما أنهم يضعون من حيث التقنية والتجهيز معايير نادراً ما يستطيع منافسوهم مجاراتهم فيها ، وهكذا تتعاظم المسئولية ويزداد الإقبال على هو ليود أكثر فأكثر(١) .

إنه فى إطار التكامل والإندماج بين وسائل الاعلام الجماهيرى ، وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات ظهر ما يعرف بقطاع الاتصال المعلوماتى الترفيهى .

Infotainment Telesector والذى يضم هؤلاء الذين يخلقون عالم اللافتات والرموز ويتحكمون فى ذلك العالم الذى تنقل من خلاله

---

(١) المرجع السابق .

المعلومات والاتصالات والترفيه ويشمل راسمى الصور كأصحاب وكالات الاعلان والمنتجين السينمائيين والصحفيين والمفكرين بل ومبرمجى الكمبيوتر.. وآخرين ممن يلبون احتياجات الروح البشرية الفردية وروح الشركات الجماعية .

وتقدر معاملات صناعة الاتصالات عام ١٩٩٥ ألف مليار دولار ترتفع خلال خمس السنوات القادمة إلى حوالى ألفى مليار دولار أى ما يعادل ١٠٪ من التجارة العالمية ، وقد ازدادت مكانة ودور قطاع الاتصالات المعلوماتى الترفيهى فى اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى ، وفى أنشطة الشركات متعددة الجنسيات ، وبقدر رأسمال صناعة الراديو والتلفزيون فى الولايات المتحدة بحوالى ٥٠ مليار دولار عام ١٩٩٥ حققت ١٥ مليار دولار أرباحاً فى الأشهر العشرة الأخيرة الأولى من عام ١٩٩٥ .

فى هذا السياق تفوقت صناعة الاعلام والترفيه الأمريكية على مثيلاتها الأوربية واليابانية فى إنتاج أو تدويج المنتجات الإعلامية والترفيهيه ومكنها هذا النجاح من أن تصبح الحلم أو النموذج الذي تسعى إلى تقليده صناعة الاعلام والترفيه فى بقية أنحاء العالم .[١]

•••

(١) د. محمد شومان ، عولمة الاعلام ومستقبل النظام الاعلامى العربى ، مجلة عالم الفكر الكويتية م ٢٨ عدد ٢ اكتوبر - ديسمبر ١٩٩٩ صـ ١٦٣ .

الفصل الثانى

الغــزو الثقــافى

المفهوم والتطور

الغزو الثقافى المفهوم والتطور:

حول مفهوم مصطلح ثقافة :

معنى الثقافة فى اللغة العربية مأخوذ من تثقيف الرمح أى تسويته وهو معنى مجازى ، فالتثقيف هنا بمعنى التهذيب والتقويم الخلقى ، وقد دخلت كلمة الثقافة بمفهومها الحديث إلى اللغة العربية فى أوائل القرن العشرين ومن ثم فقد اختلفت المعاجم القديمة عن المعاجم الحديثة فى تعريفها للثقافة ، ففى مختار الصحاح ثقف الرجل أى صار حاذقا ، وفى المصباح المنير تعنى الثقافة الظفر أو الفهم بسرعة أما فى المعاجم الحديثة مثل المعجم العربى الأساسى لاروس ١٩٨٩ ، فقد أصبح للكلمة معنيان أساسيان الأول هو : «مجموع ما توصلت إليه أمة أو بلد فى الحقول المختلفة من الأدب والفكر» والثانى هو : «مجمل العادات والاوضاع الاجتماعية والقيم الذائعه ، فى مجتمع معين ونحوها مما يتصل بطرق حياة الناس ، والمعنى الحديث المكتسب فى اللغة العربية يشابه ما يرد عن كلمة Cultur فى المعاجم الانجليزية ، وهى أيضاً مصطلح مجازى انتقلت إليه الكلمة من المعني الحسى الأصلى ، وهو معنى الزراعة أو التربية المادية ، لهذا تدخل الكلمة Culture فى تركيب كلمة Agriculture . (١)

وفى القاموس الصغير نجد مفهوم الثقافة : «مجموع المعارف المكتسبة التعليم ، والعلم مجموع البنى الاجتماعية ، الدينية .. والتظاهرات

---

(١) الأهرام ، مقال بعنوان بين الغزو الثقافي والتفاعل الحضارى أ.د سمير حنا صادق بتاريخ ١١/٤/١٩٩٧ .

الفكرية الفنية الخ» التى تميز مجتمعا من المجتمعات .(١)

وفى قاموس وبستر نجده يعرف الثقافة بأنها نموذج كلى لسلوك الإنسان ونتاجاته المتجسدة فى الكلمات والأفعال ، وما تصنعه يداه وقدرته على التعلم ونقل المعرفة إلى الأجيال التالية .(٢)

ويقول الدكتور محمد سيد محمد فى تعريفه للثقافة بأنها تعبير عن الفكر الانسانى وتنمية لهذا الفكر بمختلف الوسائل المتاحة فى المجتمع ، وأن مفهوم الثقافة يتداخل مع مفاهيم الحضارة والدين والعلم والتربية وغير ذلك .(٣)

ويرى الدكتور عبد الحميد يونس أن الثقافة هي المجال الاجتماعى لجميع الأفراد فى قومية من القوميات أو فى وطن من الأوطان ، ومن هنا يمكن تعريف الثقافة الاسلامية بأنها الثقافة المشتركة للشعوب الاسلامية والتى وإن اختلفت صورها من مجتمع إلى مجتمع ومن جيل إلى جيل آخر إلا أنها تشترك فى السمات الاسلامية ، ولا تتعارض بطبيعة الحال مع العقيدة الاسلامية .(٤)

وبذلك تشكل الثقافة ولا سيما حينما تتجانس وتتقارب أهم أسباب الترابط بين أفراد أمة من الأمم أو وطن من الأوطان ، وبهذا يمكن تفهم

---

(١) مجلة الوحدة ، عدد ٣ ربيع الثانى ١٤٠٥ ديسمبر ١٩٨٤ .

(٢) الأهرام ٢٨ يوليو ١٩٩٨ .

(٣) د. محمد سيد محمد ، الأعلام والتنمية ، ط٤ القاهرة ، دار الفكر العربى ١٤٨هـ ، ١٩٨٨ .

(٤) د. محمد سيد محمد ، المسئوليه الاعلامية في الإسلام ، القاهرة ، الخانجى ط١، ١٩٨٣ ، صـ ٥٢ ـ ٥٣ .

مغزى تطبيق القاعدة الاستعمارية القديمة «فرق تسد» التي كانت تستخدمها الدول الاستعمارية التى ورثتها بعض الدول الغربية حديثاً ببث بدور التفرقة بين ثقافات الأمم ، وإثارة النعرات القومية أو الإقليمية والعنصرية ، ولقد فعل الاستعمار هذا فى الهند عندما أدى إلى تقسيمها إلى ثلاث دول متخلفة ووصل بمنطقة البنغال أجمل وأغنى بلاد العالم القديم إلى بنجلاديش أفقر بلاد العالم الحديث ، وفعل ذلك فى نيجيريا مما أدى إلى الحروب القبلية خصوصاً بين الأيبو والهاوسا ، وفعل ذلك فى الكونجو «كاتنجا» وفى بروندى «الهوتو والتوتس» وتكررت المآسى فى لبنان والسودان ويوغسلافيا وبعض البلاد العربية الإسلامية ، ولعل ما ينادى به هانتجتن فيلسوف الرأسمالية الأمريكية العنصرية من صراع الثقافات لتحويل الأنظار عن الصراع الحقيقى صراع المستعمر بفتح الميم ، ضد المستعمر - بالكسر والمستغل بفتح الغين ضد المستغل والجنوب ضد الشمال ، مما يؤكد على أهمية حماية الثقافة القومية وتقويتها وتطويرها ، والمحافظة على قيم المجتمع وأخلاقياته دون التنكر لحضارة العلم والتكنولوجيا ومواكبة العصر.(١)

الغزو الثقافى :

لم يختلف المفكرون والعلماء على مفهوم من المفاهيم قدر اختلافهم حول مفهوم الغزو الثقافى الذى أصبح ظاهرة ملموسة تبلورت منذ الستينيات وبداية السبعينات تحت مسميات مختلفة الغزو الثقافى .. الاختراق الإعلامى .. الهيمنة الفكرية ... الاستعمار الثقافى ... الاغتراب الفكرى ... الاحلال الثقافى .... التغريب .... الحرب

(١) الأهرام ، بين الغزو الثقافى والتفاعل الحضارى بتاريخ ١٩٩٧/٤/١١ مرجع سابق.

الفكرية إلى غير ذلك من المسميات التى شاعت منذ أن فجرت الدول النامية فى اجتماعات منظمة اليونسكو قضية التدفق المتوازن للأفلام والدراما التلفزيونية من أوربا وأمريكا إلى بلاد العالم الثالث ، واعتبروا أن هذا التدفق يشكل غزوا ثقافيا ، لأن الشباب والاطفال معرضون لاكتساب قيم ثقافيه واجتماعية تخالف هويتهم وتقاليدهم .[1]

ويرى بعض المفكرين أن الغزو الثقافى وليد مرحلة معينة يطلق عليها اسم الحداثة أو اسم الحضارة التكنولوجية المبرمجة التى انتشرت انطلاقا من الأمم والبلدان المصنعة . . التى استطاعت أن تجعل من الاستعمار احتلالا للإنسان بعد أن كان إحتلالاً للأرض ، ويذهب انطون المقدسى أن هناك خطأ وقع فيه أغلب قادة الثقافة والسياسة فى العالم الغير مصنع هو اعتقادهم ان انجازات التقنية وحقائق العلم حيادية أو أنها من نوع الأداه يعين لها الإنسان هدفها ويسخرها لخدمته ، والواقع على العكس تماماً إذا أنها بعد من أبعاد حضارة كاملة ، فهى متكاملة مع قيم هذه الحضارة وعاداتها، فنقلها هو بمعنى ما نقل للحضارة التى انتجتها بعضها أو كلها .[2]

فضلاً عن ذلك فإنه الأسلوب الجديد للامبرياليه العالمية أو الاستعمار الجديد الذى يحاول من خلاله ضمان استمرار هيمنته وسيطرته على البلاد النامية ، ومن خلال التغلغل الثقافي يتم نشر مفاهيم ثقافية وفكرية معينة تخدم وجود الدولة الاستعمارية حيث يتم تشويه ومسخ الثقافة الوطنية

(١) الأهرام » كيف نواجه الغزو الثقافى ، عائشة رافع بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٩٩ص ، قضايا وآراء . د. منى الحديدى ، اختراق القائم بالاتصال بحث مقدم إلى ندوة الاختراق الاعلامى للوطن العربى ، القاهرة ، ٢٣ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦ .

(٢) مجلة الوحدة ، عدد ٣ ديسمبر ١٩٨٤ ، مقال بعنوان التحديث والتغريب فى مواجهة الغزو الثقافى .

واحتقارها ، والاقناع بأنها ثقافة متخلفة لا تواكب العصر ومتطلباته الحضارية ... فيصبح كل ما هو أجنبى له السيطرة والتفوق وهو النموذج والمثال الذى يجب أن يحتفى به أو يقلد فى كل ميادين الحياة .(١)

ويعرف الدكتور عبد الله التركى الغزو الثقافى ، بأنه كل فكرة أو معلومة أو برنامج أو منهج يستهدف صراحة أو ضمناً تحطيم مقومات الأمة الإسلامية العقدية والفكرية والثقافية والحضارية ، أو يتحرى التشكيك فيها والحط من قيمتها وتفضيل غيرها عليها ، واحلال سواها محلها فى الدستور أو السياسة ، أو مناهج التعليم أو برامج الاعلام أو التثقيف أو الأدب أو الفن أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة .(٢)

وعلى أية حال فالتعريف الـ...ي يتفق وهوية هذا البحث هو ما يشير إلى أن الغزو الثقافي هو النفاذ إلى فكر وميول الآخرين من خلال وسائط مختلفة منها الاعلام ، التعليم ، المال بهدف التأثير على سلوكهم وأسلوبهم فى التفكير وفى الحياة ، وفى اتخاذ القرار ، وتحديد اتجاهاتهم بما يخدم أغراض القائم بالغزو ويتفق مع ميوله واتجاهاته ، وهو اقتحام لفكر وشخصية الآخرين بما يؤدى إلى تحديد اهتماماتهم وصياغة طموحاتهم فى اتجاه محدد بما يصل إلى اعاقة حرية الفكر والابداع لديهم .(٣)

ويؤكد هذا الاتجاه الدكتور برهان غليون فى تعريفه للغزو الثقافى أو ما أطلق عليه الاختراق الثقافى حيث يذهب بأنه حركة انتقال الأفكار والعقائد والقيم والعادات الغربية بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى

(١ ـ ٢) د. محمد سيد محمد ، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر ، مرجع سابق ، صـ ١٦ ، ١٧ .

(٣) د. منى الحديدى ، اختراق القائم بالاتصال ، مرجع سابق .

المجتمعات العربية ، والاختراق الثقافى كسياسة واستراتيجية تنتهجها بعض الدول هو التدخل فى شئون الغير بقصد التأثير فى ثقافاتهم وسلوكهم ومعتقداتهم تدخلا كلياً أو جزئياً بمختلف الوسائل .(١)

أما الاختراق الثقافى من حيث أساليبه وأدواته فهو مجموع الأنشطة الثقافية والإعلامية والفكرية التى توجهها جهة أو عدة جهات نحو مجتمعات وشعوب معينة بهدف تكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية والقيمية وأنماط وأساليب من التفكير والرؤى ، والميل لدى تلك المجتمعات والشعوب بما يخدم مصالح وأهداف الجهة أو الجهات التي تمارس عملية الاختراق .(٢)

ومما سبق عرضه يتضح أن الغزو الثقافى يتمثل فى رغبة الدول الكبرى فى السيطرة والهيمنة على شعوب الدول الصغرى لأسباب اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية بأساليب جديدة تختلف عن الغزو العسكرى الذي يعمل على قهر الشعوب ، وتحقيق أهداف استعمارية بالقوة المسلحة أو بدون رغبة الشعوب المستعمرة ، أما الغزو الثقافى فهو لتصفية العقول والأفهام وإيجاد نوع من التبعية الفكرية للغازى ، وهو يعمل على إذابة الشعوب واتسلاخها من عقائدها ومذاهبها وحضاراتها لتصبح مسخا شائها تابعا لغيره يؤمر فيطيع ، ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الانسانية وخداعها والتمويه عليها ، وقلب الحقائق والدخول للمخاطب من نقطة الضعف ، والتسلسل إلى عقول ووجدان الأفراد عبر برامج ظريفة وممتعة ، يقوم على تدمير الثقافة التى يغزوها وإعادة تشكيلها من جديد

(١) د. برهان غليون ، التنمية الثقافية بين التبعية والانطلاق بحث منشور مجلة الوحدة السنه الثالثة عدد ٩٢ .

(٢) حامد صادق سليمان ، الغزو الثقافى وأبعاده المجتمعيه ، مجلة دراسات عربية العددان ٢٧ مارس ١٩٨٨ ، صـ ٥٦ .

سواء شاءت الشعوب أم أبت ، مستغلا فى ذلك تكنولوجيا الاتصال ، وهيمنة الوسائل والرسائل الاتصالية الحديثة .

ويقف خلف الغزو الثقافي منظمات يهودية سافره ، أم منظمات اجتماعية مموهه سرية كانت أم علنية ، كالجمعيات الماسونيه ، وفرسان المعبد وجماعات الصليب الوردى وشهود يهوه ، وغيرها من المنظمات والهيئات والجمعيات[1] التى توجه وسائل الاعلام العالمية أو تسيطر عليها .

وأبرز مثل على ذلك هو المليونير اليهودى روبرت مردوخ ، الذي أدرك أهمية الاعلام فى التأثير والتحدى الحضارى ، لذلك اتجه إلى توظيف واستثمار التكنولوجيا الاعلامية لخدمة أغراضهم ، فقام ببناء امبراطورية ضخمة تشمل نصف سكان العالم ، وذلك عندما وقع صفقه بقيمة ٣٥٠ مليون جنيه استرلينى مع رجل الأعمال (لى كاشينج) لشراء شركة (هاتشيفنجن) لشبكات الأقمار الصناعية فى أسيا لتنهض هذه الشركة بتشغيل نظام (استار) التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية ، والذى يعد مجاله الأوسع فى العالم ، حيث يصل إلى ٣٨ بلد أسيويا من الخليج حتى أندونسيا .[2]

كان أول من نبه إلى الغزو الثقافي فى مجال الاعلام ، والذي تمارسه وسائل الاعلام الغربية والأمريكية منها على وجه الخصوص هو الدكتور هربرت شيللر فى الدراسة التى قدمها بعنوان «الاتصال والأمبراطورية

---

(١) د. على جريشة ، محمد شريف الزيبق ، أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى، ط٣ ، القاهرة ، دار الاعتصام ١٩٧٩ ، صـ ١٦٣ .

(٢) مجلة منار الاسلام ، عدد ١٢ السنة الرابعة والعشرون صفر ١٤١٩ه يونيه ١٩٩٨ دور اليهود فى الغزو الثقافى .

الأمريكية» والتى أوضح فيها الأبعاد الحقيقية للإمبراطورية الإعلامية فى الولايات المتحدة الأمريكية وأخطارها الاجتماعية والثقافية على الدول النامية وكتابه أيضاً «الاعلان والاعلام الدولى» ثم توالى بعد ذلك كتابات لمفكرين من فنلندا وكندا وفرنسا ومصر ، هذه الكتابات تظهر المحاولات الدائبة التى تقوم بها الولايات المتحدة فى المرحلة المعاصرة للسيطرة على ثقافات العالم الثالث ، وإخضاعها لصالح السوق الرأسمالى العالمى ، وتستعين فى تحقيق ذلك بقدراتها الإعلامية الضخمة من خلال وكالات الأنباء والأقمار الصناعية ، فضلا عن إمكانياتها الهائلة ، فى مجال تكنولوجيا الاتصال ، والنشاط الهائل للشركات المتعددة الجنسيات ووكالات الاعلان والتنمية الدولية[1] التى تعمل على تقديم الأموال والخبرات اللازمة لدعم البحوث والمراكز العلمية والتعليمية فى بلدان العالم الثالث ، والتى تخدم فى النهاية الأغراض الأمريكية ، وتحقق لها أكبر قدر من المصالح والمكاسب وذلك من خلال التركيز على ثلاثة أهداف .

١ ـ خلق كوادر علمية من الوطنيين فى هذه البلاد يكون ولاؤهم للولايات المتحدة أكثر من ولائهم لبلدانهم .

٢ ـ ربط النظام التعليمى فى هذه البلدان بالنظام المتبع فى الولايات المتحدة ، وذلك من خلال وجود مجموعة من خبراء التعليم الأمريكيين فى مراكز تطوير التعليم بالدول النامية بحيث يسهمون فى رسم سياساته العامة، ووضع المناهج ونظم التدريس التى تكفل ضياع الهوية القومية ، وتحقيق الاغتراب الثقافى والحضارى ، والتبعية الفكرية التامة للمثل والنموذج الغربى الأمريكى .

---

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية والثقافية مرجع سابق صـ ٤٨ .

٣ ـ سحق المفكرين والقادة الوطنيين فى الدول النامية الذين يسعون للخروج من دائرة الهيمنة الأمريكية ، لما يمثلونه من خطر على المصالح العربية فى تلك الدول ، وذلك بكيل التهم لهم ، واتهامهم بالاثارة والتعصب والخروج على قيم النظام العالمى والشرعية الدولية .[١]

ويرى بعض المتابعين والمهتمين بقضية الغزو الثقافى ، أن الغزو الثقافي والحضارى الراهن هو أمركه العالم ، وهو يصيب أوربا وأممها فضلا عن العالم الثالث ، فالولايات المتحدة تستورد العقول وتصدر نمط الحياة الأمريكى هذا النمط يغزو البلاد العربية والاسلامية بلا استثناء ، والذي يجعلنا واقعين تحت تأثير هذا الغزو هو تخلفنا الثقافى ، فلمواجهة الغزو الثقافى الامريكى وغير الأمريكى ، لابد أن تكون عندنا ثقافة حقيقة تستجيب لمتطلبات الحياة المعاصرة ، فإذا لم تكن عندنا هذه الثقافة ، فنحن سائرون نحوتبعية ثقافية وحضارية متنامية ، نحو خضوع أكبر هو ما يطلق عليه التبعية الثقافية أو فقدان الهوية .

وتجد الاشارة هنا أن الانفتاح العلمي وترجمة الكتب العلمية النافعة والاطلاع على نتاج مفكرى الغرب والشرق ليس غزوا ثقافيا ، وتبعية ثقافية بل هى مقاومة للغزو الثقافى والتبعية الثقافية ، ما يغزونا ليس الكتب العلمية النافعة فى مجال الزراعة والطب والهندسة أو غيرها ، إنما يغزونا هو مسلسل دالاس وأفلام الفيديو الخلاعية[٢] والمواد الاعلامية الأجنبية على اختلاف أشكالها من دراما وأخبار وإعلانات ومنوعات وبرامج ثقافية ، وأخرى موجهة خصيصاً للأطفال على وسائل الاعلام العربية والاسلامية ،

---

(١) هربرت شيللر، الاتصال والهيمنة الثقافية، ترجمة الدكتور وجيه سمعان صـ ٧ ـ ٨ .
(٢) مجلة الوحدة ، عدد ٣ ربيع لثانى ١٤٥ ، ديسمبر ١٩٨٤م .

هذه المواد يقع تحت تأثيرها عشرات الملايين من البشر ، فضلا عن ذلك غلبة الفكر الأجنبى التجارى باقتحام المضمون الاعلامي غير التنموى بقوالبه المختلفة فى أغلب وسائل الاعلام والترفيه العربية «الاعلام المرئى بصفة خاصة» كما أن هناك تأثيرا خطيراً ينتج من التعرض لسيل القنوات الفضائية ذات الطابع التجاري ، والتي تعتمد على مضامين الجنس والإثارة بكل ما تملكه من عناصر التشويق ومقومات جذب الانتباه ، بما يجعلها الوسائل الأكثر أفضليه وجماهيريه لفئات كثيرة من الجمهور .(١)

ومما يساعد على انتشار الغزو الثقافى فى ديارنا المحاولات الدائبة لنقل المناهج الفكرية الغربية ، والاستعارة الصريحة للمذاهب والأيديولوجيات الغربية ، وما أفرزته من قيم إجتماعية وثقافية ، والمشكلة الحقيقية لا تبدأ من مسألة النقل والاستعارة ذاتها ، وإنما تبدأ من كون هذا النقل قد تم فى غالب الأحيان دون تمحيص أو تدقيق كافيين ، أيضاً فى ظل الخمول الفكرى وغياب السيطرة النقدية ، تسربت إلى الذهن العربى مناهج وأيديولوجيات تحاول أن تزكى نفسها فى الأوساط القائدة أو ما يطلق عليها «النخبة» ولذلك لاقت بعض المفاهيم والشعارات كالعلمانية والديمقراطية والبرلمانية . .الخ من الشعارات المتداولة فى السوق الفكرية ، لاقت قبولا واستحسانا .(٢)

وأدى التفـوق التكنـولوجي الغربـى إلى عجـز أنظمـة الإعلام فى بـلاد المسلمـين عن القيـام بدورهـا فى تصحيح العقيدة والمحافظة على القيم

(١) د. منى الجديدى ، إختراق القائم بالاتصال ، مقدم إلى ندوة الإختراق الاعلامي للوطن العربى ، القاهرة ٢٣ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦ .

(٢) د. صفوت حاتم ، مقال بعنوان «الليبرالية العربية» منشور فى مجلة الوحدة ، بتاريخ ديسمبر ١٩٨٤ عدد ٣ .

والعادات الإسلامية ، ليس ذلك فقط بل عملت على تهيئة المناخ الملائم ليتحول الغزو الثقافى المباشر إلى صفة الاستلاب غير المباشر ، ثم إلى صفة الاستلاب الذاتى ، فكانت تنهل من الأنظمة الاعلامية الغربية على حد قول الدكتور غازي القصيبى بدافع ذاتى تلقائى يتم دون مجهود من تلك الجهات والأنظمة ، ويتم دون أن تدرك مجتمعاتنا العربية والاسلامية أنها معرضة لأى خطر ، فتقبل فى حماسة وبلاهة لا على قبول الغزو فحسب بل على اعتناقه واحتضانه[1] !!

خطورة الغزو الثقافى :

فى الحقيقة أن هناك خطراً بالفعل يهدد ثقافتنا ، وهو لا يعود إلى ضعف هذه الثقافة من ناحية المضمون أو التاريخ ولكن يعود إلى ضعفها فى الوقت الراهن لضعف وسائل إعلامنا ، أو إلى ضعف المنتمين إليها ولو اسما .

فالثقافة الغربية تأتى إلينا لا كى نتعرف عليها ونقرها على مهل ونفحصها موضوعيا ونتأمل فيها ، ولكن تأتى إلينا كى نعتنقها مباشرة وتفرض علينا من خلال وسائل الاعلام والأفلام والمسلسلات والكتب على أنها هى الحق الصراح الذى لا بديل عنه ، كما لا تتاح لنا فرصة مناقشتها لأنها تطرح علينا على أساس أنها قيمة نتاج العقل الانسانى العالمى ، ويجب علينا محاكاتها كما أنها تطرح علينا فى الشكل أكثر مما تطرح فى المضمون ، فهى تأتى إلينا فى غلاف «سلوفان» براق جذاب ، وهو الغلاف

(١) مجلة منار الاسلام ، عدد ١٢ السنة الرابعة والعشرون صفر ١٤١٩ ، يونيه ١٩٩٨م .

الاعلامى ، وهو يبعد النظر عن المضمون الداخلى لهذه الثقافة .[1]

وكاد التلفزيون فى الدول النامية بوجه عام أن يتحول لخدمة هذه الثقافات الوافدة ، وترسيخ فكر جماعات بعينها ذات أغراض خاصة بها أكثر من توظيفه للحفاظ على الهوية الوطنية أو القومية أو الدينية أو استثماره لتدعيم الإنتماء الوطنى لمواجهة التحدى المستقبلى ، وتلبية الاحتياجات الحقيقية لبرامج التنمية ، وتنشئة الأجيال التى ستتولى مسئولية الإدارة ورسم السياسات مستقبلاً .

وتؤكد الدكتورة مني الحديدى فى بحث لها بعنوان إختراق القائم بالاتصال : أن القائمين على عمليات التدريب بالجامعات والمدرسين ، والمؤسسات الاعلامية يشكلون عاملا مساعدا لنفاذ وسيطرة الفكر الأجنبى جنباً إلى جنب مع المواد الاعلامية الأجنبية التى تحاصر هؤلاء (طلاب أو ممارسين) مما يساعد على مزيد من عوامل الاختراق أو الغزو الثقافى وطمس مقومات الشخصية العربية وانصهارها فى نظم مجتمعية خارجية .[2]

وهذا هو الخطر الحقيقى للغزو الثقافى الذى يغير من سمات وخصائص وشخصية الشعوب الواقعة تحت وطأته ، ويجعلها أكثر ميلا لتبنى أفكار وقيم ومعتقدات وأساليب الدول صاحبة السيادة فى مجال الاتصال الدولى ، والذي أصبح تأثيره خطيراً وفعالا في كل المجتمعات إلى حد أنه يمكن القول بأنه القوة المحركة لكل القوى الاجتماعية ، أو أنه الجهاز العصبي للمجتمع ، وبالتالى فإن الذي يسيطر على أجهزة الاتصال القويه

---

(١) مجلة العربى الكويتية ، مقال بعنوان السينما والإعلام الصهيونى بقلم سمير فريد، عدد مارس ١٩٩٣ .

(٢) مرجع سبق ذكره .

والمؤثرة لابد وأن يسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى أى مجتمع .

وتظهر خطورة الغزو الثقافي والنتاج الاعلامي الغربي فى ان قطاعا عريضاً من أبناء الأمة من الشباب الذين يشكلون نصف الحاضر وكل المستقبل . . الذين سيتولون بعد سنوات محدودة مقاليد الأمور فى سائر قطاعات المجتمع ، هؤلاء أصبحوا مبهورين لا بعلماء أجانب كبار ولا بأدباء غربين عظام ، وإنما بهرتهم شخصيات أخرى بعضها نميز بصعوبة بين أن يكونوا رجالاً أو إناثاً ، وبعض هذه الشخصيات تقدمها وسائل الاعلام كنماذج يحتذى بها ، وهذه النماذج تغنى فيهرع الشباب لدينا إلى الاصغاء لما يقولون ويرددون ما يسمعون من عبارات وكلمات أجنبية تلوكها الالسنة، فلا تشكل حصيلة لغوية تعين هؤلاء الشباب على متابعة مصادر العلم الأجنبية ، كذلك يدمن هؤلاء مشاهدة ومتابعة الدراما الأجنبية (أفلام ـ مسلسلات ـ تمثيليات . . . الخ) .

هذه النماذج والدراما ترسخ فينا وفى شبابنا قيما غربية ، ونذكر فى هذا الاطار نموذجاً لما يذاع مما يمكن أن يثبت قيما تتصل بالجنس والأسرة تتناقض كثيرا مع ما نؤمن به فى موروثنا الثقافى والاجتماعى هذا النموذج هو مسلسل . The bald and the beautiful الجرئ والجميلات فالزواج يمكن أن يتم بعد معاشرة الرجل والمرأة معاشرة كاملة ، وحتى بعد انجاب طفل !!! وممارسة الجنس بين الرجل والمرأة جائزة طالما أن هناك رضى بين الطرفين ، وهى تكون محرمة فقط إذا تمت إكراها للمرأة ويهنئ الأخ أخته بأنها انجبت طفلا جميلاً نتيجة معاشرتها لرجل متزوج امرأة أخرى ، ولا مانع من أن يعشق الأب فتاة أحبت ابنه ، وأقامت بينه وبينها علاقة كادت

أن تثمر طفلاً لولا أنه مات قبل أن يرى الوجود إلى غير هذا وذاك من عشرات الأمثلة التى نشاهدها ثم نستنكرها[1] ولكن لا نفعل إزاءها شيئاً يذكر !!!

وفى الحقيقة أن مسألة الدفاع عن الثقافات القومية وبيان خطورة الغزو الثقافى مسألة مطروحة للنقاش والبحث منذ أوائل الثمانينات وتبنتها منظمة اليونسكو خاصة فى السنوات التي كان فيها الدبلوماسى السنغالى أحمد مختار أمبو مديراً عاماً لهذه المنظمة ، وفى مؤتمر من المؤتمرات التى عقدتها اليونسكو فى تلك الفترة أعلن المشاركون فى البحث والمناقشة أن الثقافات القومية تواجه أخطاراً حقيقية ، وأن البلاد المتقدمة عامة والولايات المتحدة خاصة تمتلك قدرات إعلامية كبيرة لا يقاس إلى جانبها قدرات البلاد الفقيرة.

فالولايات المتحدة على سبيل المثال تملك حوالى ٧٠٪ من ترددات الطيف فى العالم ، وهى الموجات التى تنقل الإرسال الإذاعى والتلفزيونى، مع أن سكان البلاد الصناعية جميعاً لا يزيدون عن ٣٠٪ من سكان العالم ومنذ عشرين عاماً أجريت إحصائية لما يصدر فى البلاد المختلفة من كتب وصحف ، تبين أن هذه الأقلية من البلاد الصناعية أصدرت حوالى ٧٨٪ من مجموع الكتب ، وقرأت ٨٣٪ من مجموع الصحف واستهلكت ٩٠٪ من ورق الطباعة ، وامتلكت وحدها ٧٣٪ من محطات الإرسال الإذاعى ، ٨٢٪ من أجهزة الراديو ، ٩٥٪ من محطات الإرسال .[2]

---

(١) د. سعيد اسماعيل ، الاختراق الاعلامى فى مجال التربية ، بحث مقدم إلى ندوة الاختراق الاعلامي للوطن العربى ، القاهرة ٢٣ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦م .

(٢) الاهرام ، ٢٢ يوليه ١٩٩٨ ، مقال بعنوان «ويوجد بيننا أمد قصى» بقلم أحمد عبد المعطى حجازى .

وفى إحصائية أخرى لمصادر الأخبار التلفزيونية عن الدول العربية اتضح أن من مجموع ٢٥٠ خبرا من الدول العربية أصدرت الوكالات التلفزيونية الغربية ٢٠٠ خبراً ، بينما أصدرت وكالات أنباء وتلفزيونات الدول العربية ١٦ خبراً فقط ، أما الباقى فبعث به مراسلون لاذاعات بعض الدول الأوربية فى الشرق الأوسط وتشير الاحصائية الدولية أن مصر تستورد ٤٠٪ من برامجها المرئية وكذلك الكويت ، وفى تونس عرض فى عام ١٩٧٠م ٣٤٦ فيلماً مستورده على النحو التالى ١٧٦ من أمريكا ٤٨ من فرنسا ١٧ من ايطاليا ١٥ من بريطانيا ٣٥ من مصر ٧ من الهند[1] ، وبالطبع عكس هذا النتاج الاعلامى الثقافى نمط الحياة الغربية بكل ألوانها وأشكالها وقيمها .

وعموماً لقد أدى الغزو الثقافى الأجنبى من خلال وسائل الإعلام إلى نتائج فى غاية الخطورة والتأثير ، هذه النتائج فى حاجة إلى اعداد دراسات جادة حولها ، وإن كانت هناك مظاهر عديدة لهذا الغزو ، نرصد فى هذا البحث أبرزها :

أولاً : التأثير على الثقافة التقليدية ، ويظهر هذا بوضوح بتأثيرها على الفلكلور وانحدار الفنون التقليدية واختفاء بعض أشكالها ، ولعل التأثير على الأغانى والموسيقى الشعبية مثال واضح ، لقد سيطر قالب الفيديو كليب على الأغنية العربية التلفزيونية فى الفترة الأخيرة ، بشكل يخلو من القيم الجمالية أو الفنية دون تفهم لنوعية الكلمات والألحان التى تتفق مع هذا القالب الفنى ، إنما هو استخدام غير واع ، أو غير موظف للخدع

(١) د. محى الدين صبحى ، الغزو الثقافى الامبريالى الصهيونى للأمة العربية بحث منشور فى مجلة الوحدة ، عدد ٣ ، ديسمبر ١٩٨٤ .

البصرية ، وتقليد يساير بعض الأغانى الغربية السريعة الايقاع الراقصة.[١]

ثانياً : ثورة التوقعات التى قال بها ليرنر عالم الاتصال الامريكى حيث إن وسائل الاعلام بمفعولها للإطلال على العالم الخارجي زودت الناس بتوقعات وطموحات من الصعب اشباعها ، مما أدى إلى زيادة الإحباط ، وهذا يؤدى إلى البحث عن عالم التوقعات فى خارج حدود الوطن ، ومن خلال الكلمة أو الصورة تصبح النماذج الخارجية ، وكأنها عالمه المثالى الذي يحلم به ، ومن هنا تأتى صورة من صور الاستلاب أو الهيمنة أو السيطرة.[٢]

ثالثاً : شيوع التعبيرات الأجنبية فى لغة الحوار فى البرامج والدراما واطلاق المسميات الأجنبية على بعض البرامج ، وسيطرة بعض الأوتار والأفكار الاستهلاكية والجنسية على الاعلانات التجارية ، والتى لا تتفق مع واقع المجتمع وخصائص أفراده ومرجعيته الفكرية .

رابعاً : تقليد النموذج الغربى فى الجوانب الشكلية فقط كصبغ المذيعات لشعورهن باللون الأشقر وارتداء الملابس التى لا تتناسب مع التقاليد الشرقية إلى غير ذلك من مظاهر المحاكاة غير المفيدة وغير الملائمة ، مقابل عدم المحاكاة فى الجوانب الجوهرية المطلوبة ، والتي تفيد تطوير المنتج الإعلامي ، والارتقاء بمستوى الخدمة الاعلامية .

خامساً : الاعتماد شبه الكامل على الكارتون الأجنبى المدبلج أو المترجم فى برامج الأطفال ، بكل ما تتضمنه أغلب هذه الأفلام من قيم وسلوكيات

---

(١) د. منى الحديدى ، اختراق القائم بالاتصال ، مرجع سبق ذكره .

(٢) د. محيى الدين صبحى ، الغزو الثقافى الامبريالى الصهيونى للأمة العربية ، مرجع سابق .

ونماذج بشرية تؤدى إلى تكوين صورة ذهنية سلبية عن الشرق والإسلام والعرب وتمجد العنف .[1] يشير إلى ذلك الدكتور عبد القادر طاش قائلاً : «إن دول ومجتمعات العالم الاسلامى والعالم العربى بوجه خاص تتلقى سيلا من الهجمات الاعلامية الحاقدة التي تسعى من خلالها وسائل الاعلام الغربى إلى تشويه مبادئها وقيمها ، وتقدم لجماهيرها سواء فى المجتمعات الغربية أو غيرها من المجتمعات الأخرى في هذا العالم صوراً سيئة عن الاسلام دينا وحضارة وعن العرب عنصراً وقيمة . .» .[2]

سادساً : يساعد الغزو الثقافي على نشر أفكار ومعتقدات تؤدى إلى تعميم الاغتراب الثقافى والاجتماعى ، وفقدان الخصائص القومية المميزة لثقافات الشعوب التى تتعرض لها وتستجيب لهذه المؤثرات ، حيث يتحول من بيدهم دفة الاتصال إلى أدوات بيد أجهزة أو سلطات اقتصادية أو عسكرية أو سياسية أو ثقافية ، فيقدمون رؤية الآخرين فى خضوع مطلق على أنها رؤيتهم الخاصة .[3]

سابعاً : تقديم ثقافة الاستهلاك للمواطن العربى ، وذلك من خلال الاعلانات التى تشجع الروح الاستهلاكية على حساب الإنتاجية ، وبذلك أسهمت الاعلانات إسهاماً فعالا فى خلق ذهنية إستهلاكية تقع فريسة الإعلان وتتابع ما يستجد عن بضائع ، كما أن البرامج الغربية تقدم قيماً تعكس ثقافات مجتمعها ، مما يؤثر فى تشكيل القيم العربية السائدة ، ويعمل على تغييرها ، وهذا بدوره يؤثر على مواقف الأشخاص ، ويخلق لديهم نوعا من الوعى المصطنع الذى يقود إلى الانسلاب .

---

(١) د. منى الحديدي ، اختراق القائم بالاتصال ، مرجع سابق .

(٢) د. عبد القادر طاش ، صورة الاسلام فى الاعلام الغربى صـ ٦٣ .

(٣) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية ، مرجع سابق صـ ٥٣ ـ ٥٤ .

ثامناً: خلق صورة مشوهة عن العالم الخارجي بما يخدم الغرب ، وبما يؤدى إلى تحريفات فى تصور الانسان لواقعه ، وهذا يؤدى إلى تمثل الاشخاص بالصور التى فرضت عليهم وقبولها وكأنها واقعهم أو نماذجهم التي يجب أن تحتذي .(١)

تاسعاً: انزلاق بعض كتاب ومخرجى الدراما التلفيزيونية والسينمائية أو المرئية بوجه عام وراء موضوعات الإثارة ، وإهمالهم تصوير الواقع المجتمعي والتعبير عنه شكلا ومضمونا ، ويظهر ذلك بوضوح فى نمط الديكورات المستخدمة وبعدها عن الواقع المألوف ، وأيضاً فى أساليب مواجهة الأزمات الحياتيه .(٢)

عاشراً: الاستعاضه عن الأصاله بالمحاكاة إذا أن الغزو الثقافى يفرض على الانسان المتخلف نموذجا لا علاقة له به ، فهو مضطر إلى تقليد الآخرين أو أن يكون شخصية ممسوخه منه ، كما يؤدى إلى زيادة التصاق القائمين بالاتصال بالثقافات الأجنبية المنتمية إلى دول المركز ، ويتولد عنها ما يعرف بالتجانس الثقافى الذي يواصل دوره فى العمل على تجريد الشخصية القومية من مقوماتها الانسانية والتاريخية .(٣)

---

(١) د. محى الدين صبحى ، الغزو الثقافى الامبريالى الصهيونى للأمة العربية مرجع سابق .

(٢) د. منى الحديدى ، اختراق القائم بالاتصال مرجع سابق .

(٣) أنطون القدسى ، التحديث والتعريب فى مواجهة الغزو الثقافى ، بحث منشور، مجلة الوحدة ، عدد ٣ ديسمبر السنه الأولى ١٩٨٤ .

الفصل الثالث

الهيمنة الغربية على البنى والصناعات الاتصالية

الهيمنة الغربية على البنى والصناعات الاتصالية

نقصد بالهيمنة : السيطرة على الملكية والسيطرة على محتوى وتوجهات المضامين والأشكال المنتجه .

وقد أدت التغيرات الجديدة فى البيئة الاتصالية والاعلامية الدولية إلى تكريس ، واقع الهيمنة الغربية على معطيات الاعلام وتوسيع نطاقها وتشديد قبضتها ، ولا تقتصر هذه الهيمنة على بعد واحد يتعلق بالانتاج الاعلامى فحسب بل هى ذات أبعاد متعددة ، ففى مجال البنى التحتيه ، والصناعات الاتصالية يسيطر الغرب على جزء كبير من صناعة الأدوات والوسائل الاعلامية ، كما تحتكر الشركات الأوربية والأمريكية معظم أوقات الأقمار الصناعية للبث الاعلامي .

أما فى مجال الانتاج الاعلامى فلا تزال وكالات الأنباء الغربية الأربع الرئيسية وهى رويترز ووكالة الأنباء الفرنسية والوكالتان الامريكتان أسوشيتد برس واليو نيتدبرس تتحكم فى توزيع ما يقرب من ٩٠٪ من الأخبار فى العالم ، وتسيطر الولايات المتحدة الأمريكية وحدها علي ما نسبته ٤٠٪ من الانتاج التلفزيونى والسينمائى فى الأسواق العالمية .

نتج عن هذا الاحتكار للبنى التحتيه للاعلام الدولى والهيمنة على الصناعات الاتصالية ما يسميه الباحث موريس أبو ناضر بعولمة الصوت والصورة والكلمة ، ومن الطبيعى أن تكون هذه العولمة من نصيب الغرب ، وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية ، لأنها القوة الأولى المصدرة للثورة التقنية الإلكترونية إذ تتحكم بنسبة ٦٥٪ من مجمل الاتصالات الدولية .[١]

هذا التحكم وتلك الهيمنة الاتصالية للدول المتقدمة ـ وبخاصة

(١) مجلة منار الاسلام «الاماراتيه» عدد ٢ السنة ٢٤ صفر ١٤١٩ ، يونيه ١٩٩٨ .

الولايات المتحدة - كما سبق القول - تحمل فى طياتها مخاطر عديدة ، تتمثل فى السيطرة الثقافية التى تتخذ شكل الاعتماد من جانب الدول النامية على النماذج المستوردة ، التى تعكس سلوكيات وأساليب الحياة الأجنبية مما يتهدد الذاتية الثقافية لشعوب الدول العربية والاسلامية ويسهم فى القضاء على موروثات الأمة وثوابتها .

فى دراسة أجراها اليونسكو عن التداول الدولى للبرامج التلفزيونية تشير إلى أن غالبية الدول النامية التى توجد بها محطات تلفزيونية تستورد ما لا يقل عن نصف البرامج التى تعرضها ، وان ٧٥٪ من جملة الواردات العالمية فى البرامج التلفزيونية تأتى من الولايات المتحدة ، وأن الدول التى تحتكر تصدير المواد التلفزيونية هى على التوالي الولايات المتحدة ، ثم بريطانيا وفرنسا وألمانيا .(١)

كذلك تهمين الشركات متعددة الجنسيات ، والتى تنتمى لعدد من الدول مثل أمريكا والمانيا الغربية واليابان وبريطانيا وهولندا وفرنسا على صناعة الإليكترونيات ، والتى تشمل أجهزة التلفاز ، وأجهزة الراديو والتلكس والتليفون وأجهزة الإرسال والمسجلات ، وكذلك أجهزة الحاسب الالكترونى ، إذ تسيطر حوالى خمس عشرة شركة في مجال الالكترونيات على ٧٥٪ من الانتاج الصناعى الاليكترونى العالمى فى مجال أجهزة الاتصال ، وتهمين الولايات المتحدة الامريكية على صناعة الدوائر الاليكترونية الاندماجية ، حيث تنتج ما نسبته ٦٠ - ٧٠٪ من إجمالى الانتاج الدولى فى هذا المجال وتسيطر خمس شركات أمريكية فقط على انتاج ما نسبته ٨٠٪ من الانتاج الأمريكى فى مجال الدوائر الإليكترونية.(٢)

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية ، مرجع سابق ، صـ ٧٤ .
(٢) د. كرم سلبى ، بحوث ودراسات فى الاتصال الدولى ، مذكرات غير منشورة ١٩٩١ ، صـ ٦٤ .

هذه الشركات الخمس «تعرف باللاعبين الخمس الكبار» وهى ديزنى وبرتلسمان ، وتايم ، وارنر ، وفاكم ، وشركات الأخبار ، وباستثناء الشركة الثانية والأخيرة فإنها شركات أمريكية ، مع ملاحظة أن شركة برتلسمان هى ملكية ألمانية ، لكنها أكبر شركة نشر فى الولايات المتحدة ، وتعمل الشركات الخمس الكبار وفق آليات السوق والانتاج الضخم لكى ينشر أو يستهلك على نطاق واسع بين أكبر عدد من المستهلكين ، وبالتالى تخفيض تكلفة الإنتاج ، لذلك قد لا تراعى هذه الشركات القيمة الفكرية، أو الثقافية للمضامين والبرامج المنتجه لكنها تركز على الشكل والجاذبية ، فى هذا السياق تفوقت صناعة الاعلام والترفيه الأمريكية على مثيلاتها الأوربية واليابانية فى انتاج وترويج المنتجات الإعلامية والترفيهية ومكنها هذا النجاح من أن تصبح الحلم أو النموذج الذى تسعى إلى تقليده صناعات الاعلام والترفيه فى بقية أنحاء العالم بما فى ذلك أوربا .[1]

لقد ازداد الطابع الأمريكى وازدادت ظاهرة أمركه الترفيه العالمى وأصبح من المألوف أن تقدم الثقافة الأمريكية للشباب فى العالم كله ، وأصبح أمراً عاديا أن ترى الشباب فى أية عاصمة من عواصم العالم الثالث وهم يرتدون الجينز الأزرق ، ويشربون الكوكاكولا ، ويغنون أحدث أغانى الروك الأمريكي ، وتعكس هذه الظاهرة الهيمنة الأمريكية ، وسيطرة الانتاج الاعلامي الأمريكى على شاشات التلفزيون فى أنحاء العالم كله ، وإن كانت بدأت الجهود للحد منها وخاصة فى أوربا الغربية واليابان وكندا واستراليا ، عبر انتقاء الأفضل وتشجيع الانتاج المحلى نوعا وكما ، ولكن الظاهرة تزداد رسوخاً فى البلدان النامية ، وذلك نظراً لعدم إمتلاك هذه البلدان للقرار الحاسم للحد من هذه الظاهرة ولتعذرتامين الموارد المادية

---

(١) د. محمد شومان ، عولمة الاعلام ومستقبل النظام الاعلامى العربى بحث منشور مجلة عالم الفكر عدد ٢ أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٩ مجلد ٢٨ . صـ ١٦٥ .

والبشرية الكافية لتحقيق ذلك وهذا يفسر لماذا نجحت دول كثيرة فى مهمة الحد نسبياً من ظاهرة الأمركه ، في حين أن معظم بلاد العالم الثالث فشلت فى ذلك .[١]

وصورة الهيمنة فى مجال الأقمار الصناعية ليست مختلفة عما سبق عرضه فى مجال صناعة أجهزة الاتصال ، إذ يسيطر نظامان من أنظمة الاتصالات عبر الأقمار الصناعية على مجمل أشكال الاتصالات الدولية الأول غربى Intelsat انتلسات والآخر انتر سبوتنيك Interspotinec .

كذلك تثير عملية البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية التى تسمح للجمهور العريض بتلقى الصورة التلفزيونية مباشرة عن طريق هوائيات صغيرة مشاكل أخرى للدول النامية ، التى لا تملك وسائل لحماية نفسها من التجاوزات التقنية التى تترتب علي مثل هذه العملية أو بسبب عدم قدرتها على اطلاق أقمار صناعية خاصة بها ، فتصبح مهددة فى هويتها الثقافية والاقتصادية والسياسية أيضاً .

لا جدال إذن فى أننا نعيش عصر التكنولوجيا أو زمان التكنولوجيا على حد تعبير الدكتور أحمد شوقى فى مقال له بالأهرام بعنوان «العلم والمستقبل»[٢] حيث إن هيمنة القوى الغربية على صناعة المعلومات فى العالم ، مع تزايد أهمية المعلومات فى الاقتصاد العالمى يشكل استمرار ظاهرة الهيمنة والتبعية ، الأمر الذى يفرض بشدة ضرورة البحث عن

---

(١) د. أديب خضور «أستاذ بقسم الصحافة جامعة دمشق ـ سو سيولوجيا الترفيه فى التلفزيون ، بحث منشور فى محابه عالم الفكر عدد ٢ أكتوبر ديسمبر ١٩٩٩ ، صـ ٢٨٠ .

(٢) الأهرام ١١ يوليو ١٩٩٨ .

وسائل توطين تكنولوجيا المعلومات ونشر قيم مجتمع المعلوماتيه فى العالم الاسلامى وليس استيرادها فقط ، وتطوير وسائل جمع ومعالجة المعلومات، وتنشيط مشاركة دول العالم الاسلامى فى صناعة المعلومات ، ولن يتم ذلك من خلال جهود دولة إسلامية منفردة ، بل لابد من البحث عن وسائل لتجميع الجهود فى هذا الصدد .[١]

فى عام ١٩٩٥ أصدر كل من مارى تايلز وهانزا وبردايك كتابهما بعنوان «الحياة فى ظل ثقافة تكنولوجية» الأدوات والقيم البشرية ، وهو كتاب ينظر لفريضة غائبة تتمثل فى أهمية الإنشغال بفلسفة التكنولوجيا ، بعد أن اقتصرت الجهود طويلاً على الانشغال بفلسفة العلم خصوصا وأن استقراء التاريخ يؤكد أن الانسان يمكن أن يوصف بأنه صانع الآلات ومستخدمها بدرجة قد تزيد على وصفه بالعاقل أو المفكر ، وأن مركزيه التكنولوجيا فى التاريخ العلمي تتجلى فى تسمية عصورنا القادمة بالمادة التى صنع منها الانسان أدواته ـ الحجرى ـ البرونزى ـ الحديدى الخ وانتهت رحلة التكنولوجيا بالاقتران التام بالعلم ، حيث قادتنا إلى الثورة العلمية التكنولوجيه وجعلت الاسم الصحيح للعلم الآن ، وفى المستقبل المتطور هو العلم التقنى Technoscience .[٢]

وفى مجال تكنولوجيا الاتصالات نلحظ التقدم السريع فى هذا المجال

---

(١) حمدى حسن ، التحديات الاعلامية العالمية لأنظمة الاعلام الوطنية فى العالم الاسلامى، بحث مقدم إلى ندوة الاعلام الدولى ، وقضايا العالم الاسلامى ، رابطة الجامعات الاسلامية ، القاهرة ٢٨ ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٩٨ ، صـ ٥ .

(٢) الأهرام ١٩٩٨/٧/١١ «العلم والمستقبل» د. أحمد شوقى ، أنظر أيضاً بيل جيتس، المعلوماتيه بعد عصر الانترنيت طريق المستقبل ، ترجمة عبد السلام رضوان عالم المعرفة رقم ٢٣١ .

على المستوي الدولى ، والذي يصحبه أخطار عديده ، وذلك لعدم وجود معايير دولية تنظم إمتلاك التقنية وتوزيعها ، فقد أدى هذا إلى ظهور ما يسمى مجتمع المعلومات متواكبا مع القفزة الكبرى فى تكنولوجيا الاتصال ، وخاصة فى مجال الأقمار الصناعية واستخداماتها الواسعة ، مما أسفر عن بروز اشكاليات جديدة وتحديات غير مسبوقة ، تتعلق بالوعي والقيم الانسانية وأنماط السلوك البشرى فى إطار حضارى شديد التباين سواء فى معدلات أو نوعية تطوره بين مجتمعات الشمال التى تمتلك مفاتيح وأدوات التقدم العلمى والتكنولوجى ، ومجتمعات الجنوب التى ما زالت تعانى من تركه المرحلة الاستعمارية السابقة وامتداداتها الراهنة فى صورة أشكال جديدة من الهيمنة الاقتصادية والثقافية المفروضه عليها من دول الشمال ، وذلك فى إطار ما يسمى بعولمة الاقتصاد والثقافة والاعلام .(١)

والتى تمثل أكبر الخطورة على العالم العربى الإسلامي ، وتلغى الخصوصية والذاتية لشعوبه ، أو كما يصفها البعض بأنها هجمة معاصره للرأسمالية العالمية المسيطرة ، وبالذات الشركات المتعددة الجنسيات .(٢)

---

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، الاعلام وتحديات العصر ، مجلة عالم الفكر ديسمبر ١٩٩٤ .

(٢) الان تورين ، نقد الحداثة ، ترجمة أنور مغيث القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧ .

الفصل الرابع

عولمة صناعة الاتصال والغزو الثقافى

نعيش فى عصر تتغير فيه أشياء كثيرة ، ونتعرض فيها لتغيير أشياء أكثر وذلك بسبب التطور التكنولوجى وثورة المعلومات والاتصالات ، ويلاحظ أن كل تغيير يفيد منه الجانب الأقوى والأكثر تقدما .

وبادئ ذى بدء يرى المتابع أن كلمة عولمة JLobalisation فى ذاتها ما زالت مصطلحا فضفاضا غير محدد تحديدا دقيقا بل يشبه إلى حد كبير المصطلحات الغامضة التي لا يفهمها الكثيرون ، ويمكن أن يقربها إلى الأذهان استخداماتها فى بعض المجالات ومنها المجال الاقتصادى على اعتبار أن العولمة أكثر قدما من ناحية الاستخدام من أى مجال أخر ، وبالتحديد عندما كتب الاقتصادى الشهير آدم سميت ـ الاسكتاندى الأصل كتابة المعروف بـ «ثروة الأمم» الذى يعتبر أساس علم الاقتصاد الحديث ، هذا المفكر كان من دعاة الحرية الاقتصادية ، حيث يرى أنه يوجد انسجام بين سعى الأفراد وراء مصلحتهم المادية ، وبين مصلحة المجتمع التي تتمثل فى إنتاج أكبر قدر ممكن من السلع ، وكان شعاره «دعه يعمل دعه يمر» ولعل منظمة التجارة العالمية الآن ترفع هذا الشعار نفسه بما يتضمن من حرية إقتصادية ، تقضى بالغاء الحدود بين الدول وتفتح الأبواب بين الشعوب في المجال الاقتصادى ، وعلى هذا إذا كانت العولمة تعنى الجانب الاقتصادى فهى قديمة وليست جديدة ، بيد أنها أخذت الآن أنماطا وأشكالاً أخرى ، ولا سيما إذا كانت ضمن واقع عالمي أحادى الاستقطاب أو ما يسمى بالنظام العالمى الجديد والذي يعنى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد استقطبت العالم ، وأصبحت هى القوة الآحادية التى تسيطر عل العالم كله .[1]

(١) سامح كريم ، هل يمكن تحقيق عولمة الثقافة العربية ، مقال بالاهرام بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٩٨م .

ففى عصر العولمة يصبح الانتاج الاقتصادى موجها فى أساسه إلى الأسواق العالمية ، وليس للأسواق المحلية ، كما يتوجه النشاط الثقافى إلى الأفراد فى كل الدول والثقافات ، وليس إلى الأفراد فى منطقة ثقافية واحدة، كما تتوجه السياسات وتعمل المؤسسات على الصعيد العالمى وليس على الصعيد المحلي .

فالعولمة الاقتصادية هى التي تبدو أكثر وضوحا من الجوانب الأخرى للعولمة ، وتشير العولمة الاقتصادية إلى بروز عالم بلا حدود إقتصادية ، حيث أصبح النشاط الاقتصادى يتم على الصعيد العالمى وعبر شركات عابرة للقارات ، والتي لا تخضع نشاطاتها للرقابة الحدودية التقليدية .

ثم هناك العولمة الثقافية التى هى البعد الأكثر غموضاً من الأبعاد المختلفة للعولمة ، وتشير العولمة الثقافية إلى بروز عالم بلا حدود ثقافية حيث تنتقل الأفكار والمعلومات والأخبار والاتجاهات القيمية والسلوكية بحرية كاملة على الصعيد العالمى ، وبأقل قدر من التدخل من قبل الدول ، ثم هناك العولمة السياسية والتى هى أكثر مجالات العولمة إثارة للجدل ، وتشير العولمة السياسية إلى تراجع أهمية الدولة وبروز مراكز جديدة للقرار السياسى العالمى فى الوقت الذى تتجه فيه الدولة للتخلى عن مظاهر السيادة التقليدية .[١]

إن ما يعنينا فى هذا البحث العولمة الثقافية ، والتى هى محاولة فرض منهج حضارى معين على شعوب العالم ، والمنهج الحضارى المقصود هو المنهج الغربى ، وعلى وجه الخصوص هو منهج الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) د. عبد الخالق عبد الله ، قسم العلوم السياسية ـ جامعة الإمارات العربية ، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ، بحث منشور مجلة عالم الفكر عدد أكتوبر ـ ديسمبر ١٩٩٩ .

باعتبارها القطب الأوحد فى العالم ، ولذلك فإن بعض المفكرين قد استبدلوا بعبارة العولمة الأمركة نسبة إلى أمريكا(*) ، ومن هنا كان خوف وتوجس العالم العربى والإسلامى من هذه العولمة باعتبارها الخطر الذى يهدد القيم الدينية والمبادئ الاخلاقية التى تتميز بها الحضارة العربية والإسلامية ، ويشير الدكتور محمد عماره فى حديث للأهرام بعنوان «عالمية الاسلام تتمايز عن العولمة بالمفهوم الغربى» أن العولمة بصيغتها وبنيتها اللغوية تعنى القصر والجبر وليس الاختيار فهى على وزن الأمركه والفرنسه، ومن ثم تختلف عن عالمية الاسلام الذى يسمح بالتعددية الثقافية والحضارية، وليس فيه القصر والإجبار .(١)

إن الاتجاه الأغلب والأعم الذى يلقى قبولا لدى الباحثين العرب هو أن العولمة تعكس هيمنة الدول الكبرى القوية على الدول الصغرى الضعيفةوإخضاعها لنفوذها ، والسيطرة على ثرواتها ومقدراتها ، وعند بعض الباحثين تعنى العولمة توظيف العنف الثقافى لاقصاء الخصم وقمعه لتحل محله ، فهى تسعى إلى سلب الآخرين إرادتهم وطمس هويتهم ، وهى بهذا المعنى تعنى السيادة الفكرية لحضارة معينة على مختلف الحضارات، وهى من اهم الظواهر التى فرضت نفسها مؤخرا على الساحة الدولية ، وواكبت الظروف الجديدة التى نشأت فى عالم تلعب فيه الأقمار الصناعية و القنوات الفضائية والبث المباشر دورا محوريا فى تشكيل الاتجاهات وتغيير السلوكيات والتأثير على الرأى العام ، وقد اسهمت التكنولوجيا المعاصرة فى شيوع هذه الظاهرة مما أدى إلى انهيار الحدود السياسية والحواجز الجغرافية بين العالم ، والقضاء على المسافات بين مختلف الدول بفضل التقدم المذهل فى وسائل الاتصال ونظم المعلومات(٢).

(*) أبرزهم المفكر الأمريكى فريدمان فى أحدث كتاب ظهر له بعنوان «السيارة لكزس وشجرة الزيتون» .

(١) الأهرام حوار صحفى أجراه محمد يونس بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٩٨ .

(٢) د. محيى الدين عبد الحليم ، الرسالة الاعلامية بين العالمية والعولمة ، بحث مقدم =

عولمة الاعلام :

وفى مجال الاعلام تعددت التعريفات للعولمة فيرى تشومسكى أن عولمة الاعلام ، هى : «الزيادة الضخمة فى الاعلان خاصة الاعلان عن السلع الأجنبية والتركيز فى ملكية وسائل الاعلام الدولية ، وبالتالى انخفاض التنوع والمعلومات مقابل الزيادة فى التوجه للمعلن» وبذلك فالعولمه تعنى التوسع فى التعدى على القوميات من خلال شركات عملاقة شاملة ومستبده يحركها أولا : الاهتمام بالربح وتشكيل الجمهور وفق نمط خاص ، حيث يدمن الجمهور أسلوب هذه الحياة القائمة على حاجات وهمية أو مصطنعة ، مع تجزئة الجمهور وفصل كل فرد عن الأخر ، حيث لا يدخل الجمهور الساحة السياسية ، ويزعج أو يهدد نظام القوى أو السيطرة فى المجتمع .

وفى هذا السياق ناقش جيدنز عولمة وسائل الاعلام على أنها ضغط للزمان والمكان ، وهى سمة رئيسية للعالم المعاصر ، مشيرا إلى أن عولمة الاعلام هى الامتداد والتوسع فى مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه، وذلك كمقدمة لنوع من التوسيع الثقافى ، حيث إن وسائل الاتصال الجماهيرية أو التكنولوجية جعلت من الممكن فصل المكان عن الهويه ، والقفز فوق الحدود السياسية والثقافية والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان محدد .[1]

وهناك إتجاه آخر اصطلح على تسميته الليبرالية الجديدة «الخصخصة».

يركز فى تعريف العولمة على أنها مزيد من التركيز فى ملكية وسائل

= إلى ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الاسلامى ، القاهرة ٢٨ ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٩٨، صـ ٣ .

(١) مجلة عالم الفكر م ٢٨ عدد ٢ اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٩٩ بحث بعنوان عولمة الاعلام ومستقبل النظام الإعلامى العربى د. محمد شومان .

الاعلام والتكامل الرأسى والتكنولوجيا الجديدة ، وتخفيف القيود ، ومن شأن هذا خلق فرص جديدة أمام المستهلكين ، وتخفيض تكلفة التكنولوجيا وخلق فرص جديدة للعمل ، أى أن التنافس سيصبح من مصلحة المستهلك جمهور المتلقين فى ظل استمرار الصراع بين الرأسمالية العالمية الشركات الكبرى متعددة الجنسية ، والدولة القومية فى مجال الثقافة والإعلام .

وعلى العكس من ذلك يرى هربرت شيللر مؤسس المدرسة النقدية فى الاعلام أن تركيز وسائل الاعلام فى عدد من التكتلات الرأسمالية عابرة الجنسيات التي تستخدم وسائل الاعلام كحافز للاستهلاك على النطاق العالمى ، وان أسلوب الاعلان الغربى ومضمون الاعلام يدفع إلى التوسع العالمى لثقافة الاستهلاك ، عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات القديمة أو الوطنية .[١]

ولذلك نرى أن قضية العولمة تشغل الشعوب الضعيفة والأقل قدرة أكثر مما تشغل الشعوب ذات الثقافات الأقوى ، وتشعر الشعوب التى لا تمتلك القدرات التكنولوجيه للبث البعيد أو القدرات التنافسية على استمالة الأذواق ، تشعر هذه الشعوب بأخطار الغزو الثقافى الذى يهدد الثقافة الوطنية أو القومية ، وأنماط السلوك الشخصى والجماعى ، ومنظومة الأخلاق ،القيم والعادات والتقاليد واللغة والآداب والفنون ، ومقومات الشخصية الفردية ، والشخصية القومية للمجتمع فى تلك البلاد الصغيرة أو الضعيفة .[٢]

وتتفق الأدبيات التى كتبت حول العولمة فى هذه المرحلة التى نعيشها

---

(١) المرجع السابق نفس العدد .

(٢) ألفريد فرج ، مقال بعنوان «لقاء أم مواجهة» الأهرام بتاريخ ١/٤ ـ ١٩٩٨ .

على أن الثقافة المرشحة للفوز فى حلبة الصراع الثقافى العالمى ، هي الثقافة الغربية الأمريكية أو الأمريكية الصرف ، وهذا الافتراض قائم على أساس فوز الولايات المتحدة الأمريكية اليوم بالسبق فى الاعلام الفضائى وتكنولوجيا الاتصال والتقدم العلمى الأمريكى ، وقدرته على تطوير أجيال جديدة من وسائل الاتصال المستحدثة .

ويؤكد هذا الافتراض سبق الاعلام الأمريكى وتفوقه واكتساح أساليب الحياة الأمريكية للعالم ، بحيث أصبحت اللغة الأمريكية الانجليزية سابقا !! هى اللغة الأولى فى مجالات المال والأعمال والعلم والطيران والسينما والاعلام وغيرها ، كما انتشرت فى العالم كله زجاجات المشروبات الأمريكية ، وأصبح الدولار هو العملة القياسية فى سوق البترول والكثير من السلع الحيوية ، وتداخلت رؤوس الأموال الأمريكية ، حتى فى الشركات غير الأمريكية ، وبخاصة الشركات متعددة الجنسيات .[١]

إن الغزو الثقافى الأمريكى بات يأخذ علاوة على التصدير المباشر شكل تحويل غير مباشر للقيم الثقافية ولأدواتها بالذات ، فالأداة هى فى حد ذاتها خالقة للقيمة ، وما دامت الولايات المتحدة الأمريكية هى حتى الآن صاحبة السبق فى ابتكار أحدث أشكال وأدوات التنظيم المعلوماتى للمعرفة فلا عجب أن تكون الرسالة التى تحملها العقول الإلكترونية والاقمار الصناعية هى رسالة أمريكية ، حتى بصرف النظر عن مضمونها المباشر .

وتلعب الوكالة الأمريكية للاتصالات الدولية USICA دوراً خطيراً فى الغزو الثقافى الامريكى للدول العربية والاسلامية ، حيث تشرف الوكالة

---

(١) د.هالة مصطفى ، مجلة السياسة الدولية ، عدد اكتوبر ١٩٩٨ .

على أربعة أقسام تتوزع علي النحو التالى :

١ ـ القسم الإذاعى واهم برامجه على الاطلاق إذاعة صوت امريكا التى تبث بأكثر من ٥٠ لغة وتغطى أرجاء المعمورة باستثناء أوربا الغربية ، وهى لا تستهلك سوى ١٥٪ من البرامج الاذاعية التى ينتجها القسم الإذاعى التابع للوكالة ، أما باقي الانتاج ويقدر بعدة آلاف من ساعات البث أسبوعياً ، فيوزع على محطات الإذاعات المحلية فى أنحاء شتى من العالم .

٢ ـ القسم السينمائى والتلفزيونى Imv وهو يعمل فى مجال السمعيات والبصريات ، وينتج أفلامه للسينما والتلفزيون والفديو إما مباشره, وإما بالتعاون مع الشركات الخاصة ، وهو يشرف عمليا على جميع المسلسلات التلفزيونية ؛ التى يجرى تصديرها للخارج ، كما أنه يبث مباشرة بعضا من برامجه عن طريق الأقمار الصناعية .

٣ ـ قسم الصحافة والنشر IPS وهو يصدر اثنتين وعشرين مجلة تباع تجاريا أو توزع مجانا على شخصيات مختارة ، وهذه المنشورات تستهدف فى المقام الأول النخبة المثقفة ، وست منها تحرر فى واشنطن والباقى يحرر فى عواصم شتى فى الخارج من قبل هيئات تحرير محلية ، ومنها مجلة ديالوج التي صدرت طبعاتها العربية باسم «حوار» ويملك قسم الصحافة والنشر أربع مطابع خارج الولايات المتحدة فى ماكسيكو ، ومانيلا وتونس وبيروت ثم إن هذا القسم يمول دور نشر فى شتى انحاء العالم الثالث ، ويساعد ماليا بعض الصحف فى العالم الثالث لتواجه حرب المعلومات الدائرة فى بلدانها ؟!! .

٤- قسم مركز الاعلام ICS ويختص هذا المكتب بالاعلام البطىء

أى بالنشاطات الثقافية البعيده ، ويتولي إعداد برامج تعليم باللغة الإنجليزية، ويطبع مجلة تعليمية مشهورة فى العالم باسم English Teaching Forum ويدعم نشاطات ١٠٨ من المراكز الثقافة القومية الثنائية ؛ وفيها ٨٢ مركزاً فى أمريكا اللاتينية . ثم إن الوكالة تتعاقد مع بعض المعاهد المستقلة ذاتيا ، وتوكل إليها تنفيذ مهامها ومن هذا القبيل معهد التربية الدولية ITF ومقره فى نيويورك ، وهو يعد أكبر جهاز غير حكومى للمبادلات الاكاديمية فى العالم ،وله وكالات إقليمية دائمة فى العالم الثالث، ويضم هذا المعهد ٣٨ رئيس دولة ، ورئيس دولة سابق و٢٤٠ وزيرا ومهمته الرئسية أن يعطى التربية الأمريكية بعداً عالمياً. [١]

(١) جميل طراد ، الغزو الثقافى الأمريكى لأوربا وللعالم الثالث ، مجلة الوحدة عدد ٣ ديسمبر ١٩٨٤ .

إن هيمنة ثقافة ذات سيادة مثل الثقافة الأمريكية على ثقافة أخرى أيا كان نوعها يمثل إعتداء صارخا على شخصيتها وهويتها ، وإذا كانت مثل هذه الهيمنة من السهل قبولها فى مجال العلم ، فمن الصعب قبولها فى الثقافات التى تتعامل بمنطق التأثير والتأثر ، فليست الثقافة كالعلم لا وطن له ، فما يستحدثه العلم من نظريات فى أمة من الأمم يلقي قبولاً فى بقية الأمم ، حيث لا يضير واحدة من هذه الأمم أن تستفيد بمنجزاته وان تسخره لخدمتها .

أما الثقافة فهى غير ذلك تماما حيث تكون لكل أمة شخصيتها الثقافية المتميزة التى تختلف عن غيرها من الأمم على اعتبار أنها تعتمد على جوانب قد تختلف من أمة إلى أخرى كالعادات والتقاليد والفنون والمعتقدات والتراث وغيرها من جوانب تكوين ثقافة الأمة فى ماضيها وحاضرها ، فهذا الاختلاف واضح حتى بين الأمم ذات التاريخ المشترك ، فعلى سبيل المثال فى الأمة العربية تختلف الشخصية الثقافية لمصر عن الشخصية الثقافية للعراق أو لسوريا أو للسعودية وغيرها من البلدان العربية .

فرغم ان أللغة واحدة والتاريخ مشترك والعادات والتقاليد متقاربة ، إلا أن هناك بعض الاختلاف فى الملامح الأساسية التى تشكل شخصية كل واحدة من هذه البلدان ، وإذا كانت هناك ثمة إختلافات بين أمم التاريخ المشترك فكيف يكون الحال بين الأمم التى لا تشترك فى تاريخها بعضها مع البعض مثل الأمم العربية والأوربية والأمريكية ، فلا شك أن شقه الخلاف بين ثقافات هذه الأمم أكثر اتساعاً .[1]

(١) سامح كريم «عولمة الثقافة تكشف عن نفسها ، مقال منشور الأهرام بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٩٨ .

لقد تردد فى الفترة الأخيرة مصطلح جديد على الحياة الثقافية والسياسية هذا المصطلح عرف باسم «الصناعات الثقافية» على أثر توقيع أغلب دول العالم ومنها مصر على اتفاقية الجات « ١١٧ دولة فى دورة أورجواى» وهذا المصطلح أو المفهوم يطلق على كثير من الأدوات الثقافية المعاصرة التى يدخل فيها الأفلام والتمثيليات التلفزيونية والموسيقى والديكورات الفنية وشرائط الكاسيت والفيديو ومصنفات الحاسب الألى ، وبالطبع ما تقدمه الإذاعات من المواد الإعلامية إلى الكتب والإسطوانات ، وما إلى ذلك مما يدخل تحت هذا المفهوم الذى أصبح يقتصر فى الغالب على ما تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية من مواد صناعية ثقافية، تستطيع لدرجة الإبهار الكبيرة بها وانتاجها الهائل أن تسيطر بها على الأسواق العالمية كلها .

فالولايات المتحدة الأمريكية تمثل أكثر الدول الغربية إنتاجا لمثل هذه الصناعات ، حتى إن الاحصاءات الأمريكية نفسها تقول إن الصناعات الثقافية تستحوذ على ٦٪ من الناتج القومى الأمريكى ، وهى نسبة تسبق الناتج القومى فى الزراعة والصناعة الاليكترونية نفسها(١) .

فى الواقع ان عولمة الثقافة الأمريكية تمثل فى حد ذاتها غزوا ثقافيا أمريكيا ، وقد أصبح هذا الغزو من الحقائق المقررة مثله فى ذلك مثل قدرتها الاقتصادية ، وقوتها العسكرية ، وظاهرة الغزو الثقافى الأمريكى لم تعد قاصره على بلد بعينه أو منطقة بعينها أو حتى قارة بعينها ، فهذه ظاهرة عامة نمت وانتشرت منذ الحرب العالمية الثانية، وشملت العالم كله بقدر أو بآخر .

وعلى الرغم من تعدد أشكال هذا الغزو وتعدد ألوانه كذلك ،

(١) د. مصطفى عبد الغنى ، الجات والتبعية الثقافية ، القاهرة ١٩٩٩ ، صـ ٣١ .

وتغلغله فى عدد كبير من قطاعات الحياة الثقافية للأمم الأخرى من صحائف من صحافة ونشر وتعليم وفن ، فإن مظهره الأكثر لفتا للنظر هو المظهر السمعى - البصرى المرتبط تكنولوجيا بالتطور العلمى فى مجال الحاسبات الإلكترونية، والاتصال عن طريق الأقمار الصناعية ، وطبيعى أن يدرك هذه الحقائق دعاة العولمة ، وكتابها فنجد بعضا من مفكريها يحاولون التقريب بين الثقافة ذات السيادة والهيمنة ، وبقية الثقافات الأخري حتى تتحقق العولمة على المدى الذى يريدونه ، فنجد دراسة بعنوان «فى مديح الامبريالية الثقافية كتبها دافيد دوشكويف أستاذ العلاقات الدولية بجامعة كولومبيا ، وترجمها العربية الأستاذ أحمد خضر . حيث يرى دو شكويف ان الولايات المتحدة تهمين على حركة المرور الدولية أو الكونية فى مجال المعلومات والأفكار ، فالموسيقى الأمريكية والأفلام الأمريكية ، والبرامج التلفزيونية الأمريكية ، وبرامج الكمبيوتر الأمريكية أصبحت شديدة الهيمنة والرواج ، حتى أنها توجد اليوم فى كل مكان على الأرض بالمعنى الحرفى للكلمة ، وهى تؤثر بالفعل فى أذواق وحياة وتطلعات كل الأمم ، رغم ما ينظر فى بعضها باعتبارها مفسده ، ولذلك فرنسا وكندا أصدرت كل منهما قوانين تحظر نشر ونقل هذه المواد الأمريكية ، والأمر نفسه تعلنه إيران والصين وسنغافورة ، وكل من هذه الدول تسعى إلى تقييد وصول هذه المواد إلى مواطنيها ، والهدف من ذلك هو ابعاد ما يبثه الأمريكيون من وجهات نظر سياسيه ، وتلوث فكرى أو اختراق ثقافى ، حفاظا على الشخصية الثقافية لكل أمة من هذه الأمم .[1]

---

(١) الأهرام ٢٨/٧/١٩٩٨ ، مرجع سابق .

وتأثيرا لسينما الأمريكية من الخطورة بمكان ، الأمر الذى جعل وزير الخارجية الفرنسى يطلق على هذا الخطر «لوبى هوليود» وتشير التقارير الصحفية أنه فى الفترة التى سبقت ١٥ ديسمبر ١٩٩٣ ، أن المسئولين الفرنسيين على المستوي الرسمى العالى يتهمون هذا اللوبى بأنه يسعى لفرض سيطرته على السينما والفن فى العالم ، مستغلا اتفاقات الجات من أجل احكام سطوته على أسواق أوربا والعالم أجمع ، كان الموقف الفرنسى يدافع عن السينما القومية والحفاظ على تأثيرها فى الوجدان الفرنسى فى حين كان علينا أن ندافع أكثر عن القيم الثقافية التى تلح عليها هوليود عندنا، ويكفى أن نتذكر مسلسل «الجرئ والجميلات» الذى لقى ترحيبا كبيراً فى فترة من الفترات ، حتى أننا لاحظنا أن شخصياته ، وما يقدم من قيم بدأ فى الشيوع لدى رسامى الكاريكاتير ، وعند عديد من الشخصيات التى دافعت عن وجوده واستمراره أمام مسلسل يا بانى «أوشين» كان يتسلسل إلينا .(١)

يقول جاك تيبوا لمفكر الفرنسى محذراً من الغزو الثقافى الأمريكى : «إن فرنسا هى الآن قيد الاستعمار ، فطريق الحياة الأمريكية بلغت إلى أعماق المشاهد الفرنسى بالذات إلى عقله ، وأحاسيسه وفكره» ويتنبأ ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا الأسبق فى أحدث مؤلف صدر له بأن أوربا إذا استمرت فى فقدانها الراهن لهويتها ، وفى عجزها الراهن عن تجديد نفسها بنفسها لن تكون فى المستقبل القريب إلا مستحلقة أمريكية ، ولا يتردد ممثل بارز لما يسمى باليمين الجديد فى فرنسا هو الكاتب غيوم فاى فى مقال اختار له هذا العنوان الدال «أمريكا تقود الرقصة» يذكر فيه أن أوربا قد وقعت هى والعالم الثالث ضحية للغزو الثقافى الأمريكى .(٢)

---

(١) د. مصطفى عبد الغنى ، الجات والتبعية الثقافية ، مرجع سابق ، صـ ٣٥ .

(٢) جميل طراد ، الغزو الثقافى الأمريكى لأوربا وللعالم الثالث مجلة الوحدة عدد ٣ ديسمبر ١٩٨٤ .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو كيف يكون مستقبل العالم فى ظل هذه العولمة المدمره ؟ وللاجابة على هذا التساؤل نذكر دراسة بعنوان : «يا عولمى العالم اتحدوا» يتناول فيها دانيال دريزنر بالعرض والتقويم خمسة كتب هى الجهاد ضد السوق الكونيه لبنيامين باربر ، وكتاب نهاية التاريخ والإنسان لفرنسيس فوكوياما ، وصدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمى لصموييل هاتنجتون وكتاب نهاية الأرض رحلة إلى بدايات القرن الحادى والعشرين لروبرت كابلان ، وكتاب نهاية الدولة القومية لكنيثى أوماى ، حيث ينتهي فى دراسته التى ترجمها الأستاذ عبد السلام رضوان إلى خلاصة لهذه الكتب توضح مستقبل العالم فى ظل العولمة قائلا : هناك اتفاق بين هذه الكتب على أربع نقاط الأولى ان الدول القومية تفقد نفوذها وتأثيرها فى عالم السياسة .

الثانية : أن هذا الضعف تسببه بصورة مباشرة أو غير مباشرة قوى السوق الكونيه .

الثالثة : أن هذه التأثيرات كونيه الطابع أى أنها غير محصورة فى العالم المتقدم أو العالم النامي .

الرابعة : هى أن العلم الإجتماعى التقليدى لا يمكن تفسير هذه المتغيرات .(١)

وهكذا تتضح مخاطر العولمة وبخاصة فى المجال الثقافى ، وأنها ببساطة شديدة ترتبط دائماً برغبة صاحب القوة فى فرض سطوته وهيمنته ونفوذه وتعظيم فوائده ومنافعه على الدول والأطراف الأقل قوة فى أقصي نطاق يمكن أن تصل إليه قوته وتأثيره وفعاليته ، وهو ما يعنى السعى إلى الهيمنة على العالم أو على الأقل الحلقات الأكثر ضعفاً ، والأقل مقاومة بحكم افتقارها لعناصر القوة اللازمة للتعامل مع الأقوياء والأكثر تقدما .

(١) نقلا عن جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/٧/٢٨ .

ويكفى أن نعلم أنه من غير المستبعد - أن تدخل دول العالم المتقدم فى حرب من أجل السيطرة على المعلومات ، كما حاربت فى الماضى من أجل السيطرة على المستعمرات ، وهو ما يشير فى الواقع إلى تنبه الدول الغربية إلى تأثير المعلومات فى توجيه الثقافة وتغيير الخصوصية أو تلاشيها ، والنظر حولنا اليوم بتمعن سنرى أن ذلك يتم - بالفعل - فى حضور عدد هائل من الأقمار الصناعية فى فضاء لا حول لنا فيه ولا قوة ، وفى غيبة الوعى العربى والإمكانات الضعيفة ، نجد أن الفضاء الاعلامى العربى يسيطر عليه عدد من الدول الكبرى ممن يرسمون سياستهم بالتنبه إلى الفضاء السمعى البصرى، وأثره فى الثقافة العربية ، إن هيئة الإذاعة البريطانية تملك محطتين للبث إحداهما فى جزيرة قبرص والأخرى فى عمان ، فضلا عن عشرين موجة لبرامج تغطى ميادين التعدد اللغوى فى المنطقة ، كما أن الوجود الفرنسى يتمثل فى إذاعتين مونت كارلو الشرق الأوسط وإذاعة فرنسا الدولية ، فضلا عن الحضور الفرنسى الرسمى إعلامياً فى المغرب خلال إذاعة المتوسط .

وهذا يؤكد لنا أن البريطانيين والفرنسين يحاولون أن يسيطرو على مساحات هائلة من البث فى العالم العربى ، بل وتشير المصادر الغربية إلى أكثر من ذلك على مستوى البث المرئى ، حيث استعدت لندن لاطلاق قناة تلفزيونية تبث بدون انقطاع فى المنطقة بلغات عده فى مقدمتها اللغة العربية فإذا تركنا الانجليز والفرنسيين وتوقفنا عند الأمريكيين ، فسوف نلاحظ أنهم يعتمدون فضلا عن إذاعة صوت أمريكا على شبكة سى إن إن (CNN) الضخمة ذات الإمكانات الهائلة فضلا عن عدد هائل أخر من الشبكات (محطة راديو تلفزيون أرامكو بالسعودية) ومحطتين دينيتين إحداهما فى جنوب لبنان والأخرى تستخدم إذاعة فرنسية هى مونت كارلوا التى تملكها فرنسا ، وهذا يشكك فى موقف فرنسا التى تدافع عن الخصوصية الفرنسية

اتفاقية «الجات» فى حين أنها تمنح إذاعة مسيحية «تنصيرية» تبشيريه موجهه للأمريكين .[1]

المهم هنا أن نشير إلى أن الهدف من العولمة ومن الكتابات التى تؤيدها هدف واضح ، وهو خدمة الأقوياء ، والأكثر تقدما ، وتؤكد الدراسات والبحوث الحديثة أن خدمة الأهداف الأمريكية وتعزيز قدرة أمريكا على تعزيز مصالحها الذاتية فى المقدمة ، لقد أدرك الأمريكيون أن تلك المصالح تتصل بطائفة من المعارف مثل الاقتصاد والسياسة والعلوم والثقافة والاعلام ، فلقد تحول الاقتصاد العالمى خلال العقد الأخير من القرن العشرين ، وربما للمرة الأولى فى التاريخ الانسانى إلى اقتصاد معلومات ، حيث أصبحت المعلومة فيه أهم عوامل إنتاج السلع والخدمات، وأصبح رأس المال الفكرى من معارف ومعلومات أصبح المصدر الوحيد لثروة الأمم .[2]

وإذا كان الأمر كذلك فإنه وبنفس المنطق لن يكون أمام عالمنا العربى والإسلامى الاخيار واحد ـ من أجل البقاء ـ هو القدرة على المنافسة الاقتصادية ، ويصبح الاحتماء بالهوية الثقافية والحضارية للأمة معياراً إجبارياً على المستوى الفكرى الثقافى ، فلا ينبغى أن نتعامل مع العولمة بحسبانها مجرد تقنية ووسائل وابتكارات علمية ، لأن هذه الوسائل التكنولوجية هى جهد العقل البشرى فى كل مكان ، وعلى المسلم أن يتعامل معها ويستفيد منها ويساهم فى تطويرها ، فالعولمة منظومة البناء الثقافى الذى يعبا فى وسائل التقنية الحديثة ، ومن ثم فإن المخاطر فى هذه

(١) د. مصطفى عبد الغنى ، الجات والتبعية الثقافية مرجع سابق صـ ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) أسامة ثرايا قاطره العولمة هل تقود العالم إلى حافة الهاوية ، الأهرام بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٩٨ ، حمدى حسن، التحديات الاعلامية العالمية ، مرجع سابق صـ٤ .

العولمة تكمن فى المنظومة القيمية ، وهى فى حقيقتها جوهر الثقافة الغربية التي تحاول العولمة تعميمها على الساحة العالمية من خلال طريقين هما الأولى ـ تفكيك التراث الداخلي لكل أمة والذى يعبر عن خصوصيتها ، ويتضمن بطاقة هويتها ، والثانية وهو الجانب الأخر للعولمة ، ويركز على الإبهار بهذه الثقافة الواحدة بحيث نستقبلها بغريزتنا غير الواعية حتى لو كنا نرفضها من المنطق الدينى والقومي والحضارى .[١]

---

(١) د. كمال إمام ، مخاطر العولمة تكمن فى منظومتها القيمية ، الأهرام بتاريخ أول يناير١٩٩٩ .

رغم أننا فى حاجة ماسه فى هذا العصر ـ الذى تجتاح فيه رياح العولمة كله شرقه وغربه ـ إلى الحفاظ على هويتنا الثقافية والقومية والحضارية ، إلا أننا ينبغى أن نتواصل مع العالم ومع التقدم العلمي المذهل فى كافة المجالات ، لأن العولمة أو النظام العالمى الجديد برغم ما يحمل من مخاطر شديدة إلا أنه يمكن أن يتسم ببعض المزايا إذا أحسنا التعامل معها بذكاء وحذق ، وفطنة ، واستطعنا أن نضع الخطط العلمية ، وتمسك بذمام المبادرة ، لأن هذه الظاهرة ممكن أن تعطينا الفرصة أن نقدم ما لدينا من حجج عقلية وأدلة منطقية ، يمكن أن نقنع بها العالم ، حيث إن مصلحتنا العلمية والاقتصادية والسياسية والثقافية ـ برغم تشكيك البعض من أى منفعه يمكن أن تعود علينا فى ظل العولمة ـ تدعونا للحضور فى المستقبل ، ولا تدعونا للغياب عن الواقع ، تدعونا لتقدير الأمور من موقع التثبيت للهوية الثقافية ، والثوابت التى لا خلاف عليها بالاتصال والتفاعل مع الآخرين ، وانتقاء ما يساعد على انجاز نهضتنا الثقافية والحضارية ، وانتخاب عناصر التحديث لمجتمعاتنا ، والأخذ بأدوات العصر ، وأساليب تطوير الإبداع الحضارى ، لكن مع الحرص والحذر من ضروب الهيمنة والذوبان وابتلاع الشخصية القومية والحضارية لأمتنا العربية والإسلامية.[١]

وهذا يعنى أننا فى حاجة إلى تخطيط علمى وآليات جديدة فى صناعة الفكر وقنوات الاتصال تعيد صياغة العقل العربى والإسلامى وتتعامل بفكر جديد وعقل مفتوح مع المتغيرات التى تفرض نفسها على العالم ، وتستفيد من العطاء الحضارى المعاصر ، فتأخذ بكل هو مفيد من

(١) د. محى الدين عبد الحليم ، الرسالة الإعلامية بين العالمية والعولمة ، مرجع سابق صـ ٧ .

معطيات العولمة فى الفكر والثقافة والعلم والتكنولوجيا ، وتتجاوز السلبيات التى يحملها هذا التيار الذى يجرف فى طريقه كل من يقف على أرض هشه) ومن لا يريد أن يفهم هذا الواقع ويتفاعل معه بفكر مفتوح وعقل مستنير ، مع الحفاظ كما سبق القول على ثوابت الأمة وتراثها وعقيدتها.[1]

إن التعامل الإيجابى مع العولمة لا يتم إلا بأن نضع مشروعاً ثقافياً قومياً تشارك فيه كل الأفكار العربية الإسلامية ليتم إنجاز المشروع فى أقرب وقت ممكن ، والاستفادة من الثورة الاتصالية الممثلة فى الفضائيات العربية والاسلامية .

هذا المشروع الثقافى المقترح نحن فى أشد الحاجة إليه لتكون لنا القدرة والقوة للتعامل مع عصر العولمة بالأخذ والعطاء وبالقدرة على الإختيار والنفع والإنتفاع ، وأن يتم وضع الثقافة العربية والإسلامية ضمن الثقافات العالمية المتنافسة أو المتكاملة أو نضيف ثقافتنا إلى سياق المجرى الرئيسى العالمى للثقافات المتنوعة المتكافئة القدرات المتنافسة على احتلال مساحة ذات بال فى التكامل الثقافى العالمى ، وينبغى أن يشمل المشروع الثقافى القومي ترجمة كل العلوم التى يمكن أن تقوم عليها حضارة العصر إلى اللغة العربية ، وتعريب التعليم العلمي ، ونفى الخوف من الثقافات الأخرى ، ودعم الثقافة العربية والإسلامية فى المدرسة والمسجد وأجهزة الاتصال الجماهيرى ، وتطوير التشريع لضمان حرية البحث والفكر وحقوق المؤلف أو المخترع ، ودعم المؤسسات العلمية ، ومؤسسات الابداع وعلاج مشاكل النشر ، وانتقال الكتب والأشرطة ، وتضافر الجهود لإقامة السوق

---

(١) د. محى الدين عبد الحليم ، الرسالة الإعلامية بين العالمية والعولمة ، مرجع سابق صـ ٩ .

العربية الموحدة ؛ فى مجال الثقافة والإنتاج الأدبي والعلمى والفنى .[(١)]

وإذا كنا نخاف من مخاطر العولمة ونخشى الغزو الثقافى المحدق بنا ولا نعرف كيف نواجهه ، ونبذل محاولات مختلفة لمواجهته أو انتشاره بيننا، فإن الحل يكمن فى تحصين الجماهير ضد هذا الخطر بالفكر السليم ، وتزويدها بالمعلومات الصحيحة ، التى تمكنها من الانتقاء أو الرفض أو القبول لكل ما يتوافق مع هويتها الفكرية ، ومن ثم فإن تحديد إطار مرجعى، ورؤية فكرية واضحة تنطلق من عقيدة هذه الأمة هو البداية الصحيحة لحماية هذه الجماهير ، والحفاظ على تراثها ودينها ولغتها ، ولن يتحقق هذا الهدف إلا إذا تم وضع استراتيجة إعلامية وتم الاهتمام بالبحوث العلمية لتطوير العمل الاعلامي ، واستثمار المعطيات المعاصرة ، وثورة المعلومات لتحقيق أوسع انتشار للرسالة الاسلامية من خلال وسائل الاتصال الحديثة لتغطى هذه الرسالة أكبر مساحة ممكنة علي الكرة الأرضية.[(٢)]

ويرى الدكتور محمد عمارة أنه لكي نواجه مخاطر العولمة والذى أطلق عليها عبارة «الإجتياح الثقافى - لابد من إقامة علاقات وثيقة فى الحياة الثقافية والاقتصادية بين البلاد العربية والإسلامية» وتتحقق بتجديد الفكر الإسلامى الذى يعنى الحفاظ على الثوابت الحضارية ، وليس من خلال الحداثة الغربية التى تقيم قطيعة مع الموروث الثقافى للأمة .[(٣)]

---

(١) الفريد فرج ، لقاء أم مواجهه مع العولمة ، الأهرام بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٩٨ . ديسمبر ١٩٩٨ .

(٢) د. محى الدين عبد الحليم ، الرسالة الإعلامية ، مرجع سابق ، صـ ١٧ .

(٣) د. محمد عمارة ، عالمية الإسلام تتمايز عن العولمة بالمفهوم الغربى الاهرام ٢٥ ديسمبر ١٩٩٨

وهكذا نرى أننا أمام تحد شرس ، وإذا لم تستيقظ الأمة العربة والإسلامية من ثباتها ، وتضع الخطط والمناهج الكفيلة لمواجهة هذا التحدى ستجرف تيارات العولمة الثقافة العربية والإسلامية وتبتلعها ، فالغرب يتحد وسمة هذا العصر التكتلات الاقتصادية والكيانات الثقافية ، وإنه مما يدعم موقفنا فى هذه المواجهة أن يكون هناك تساند بين الحضارة الإسلامية ، وبين الحضارات الانسانية الأخرى التى تتعرض لنفس المخاطر . . فمن المهم أن نمد الجسور مع الحضارات الشرقية ، وتنمية العلاقات مع أفريقيا ،ومع أمريكا اللاتينية .

●●●

الفصل الخامس

وكـالات الأنبـاء العـالمية والغزو الثقافى

وكالات الأنباء العالمية والغزو الثقافى

تؤدى وكالات الأنباء العالمية دوراً بارزاً فى عملية نقل المعلومات دوليا، فهى الموزع الرئيسى للأنباء على الصعيد الدولى ، ولذلك فإن عدداً قليلاً من الصحف فى العالم يمكن أن يدعى الاستقلالية فى جمع الأخبار الدولية ، لأنها تحتاج إمكانات باهظة ، وهذه الصحف تنتمى إلى عدد قليل من الدول فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا ، أما الصحف الأخرى ولا سيما الصادرة فى الدول النامية ؛ ومنها معظم الدول العربية والإسلامية ، فتعتمد بشكل كبير على وكالات الأنباء العالمية ، وكذلك الحال بالنسبة لوسائل الاتصال الأخرى المسموعة والبصرية .

ولذلك فإن أبرز التحديات التى تواجه الاعلام فى المجتمعات الإسلامية والعربية ، الاحتكار لنظم المعلومات ومصادرها وتبعية الاعلام الاسلامى للاعلام الغربي ومصادره ، ولقد تبين من خلال الدراسات والبحوث أن ٩٠٪ من أنباء الوكالات العالمية تحتكرها خمس وكالات أنباء عالمية منها وكالتان أمريكيتان اسوشيتد برس A.P ، يونيتد برس انترناشونال U.P.I ، ورويتر R الوكالة البريطانية ووكالة الأنباء الفرنسية A.F.P ووكالة تاس السوفيتية .(١)

ورغم أن هناك أكثر من مائة وكالة تنتشر على إمتداد القارات الخمس، إلا أن هذه الوكالات هى المصدر الرئيسى لوسائل الاتصال الجماهيرية - الصحف - محطات الإذاعة - قنوات التلفزيون - وتقوم هذه الوكالات بدور عالمى هام فى نقل وتبادل الأنباء عبر القارات ، ويؤهلها للقيام بهذا الدور قدراتها التكنولوجية وكوادرها البشرية المدربة التى تستعين

(١) د . السيد عليوه ، استراتيجية الاعلام العربى ، القاهرة ١٩٩٠ ، صـ ٢٥٦ .

بها فى جمع الأنباء وتوزيعها بلغات عديدة فى مختلف أنحاء العالم ، وكل وكالة من هذه الوكالات الخمس لها مكاتب فى أكثر من مائة دولة ، وتستخدم عدة آلاف من الموظفين المتفرغين والمراسلين ، الذين يقومون بجمع مئات الألوف من الكلمات كل يوم ، وتوزيع مئات الأخبار على النطاق المحلى والعالمى ، وكل منها يصدر نشراته الإخبارية على مدار أربع وعشرين ساعة يومياً إلى آلاف الصحف والوكالات القومية ومحطات الإذاعة والتلفزيون فى أكثر من مائة دولة ، وتقدم هذه الوكالات خدمة يومية منتظمة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والروسية والأسبانية والبرتغالية والألمانية .[1]

ومعنى ذلك أن الوكالات الأجنبية يمكن لها أن تحتكر الأخبار وأن تسيطر على طريقة صياغتها وتوزيعها وتوجيهها الوجهه التى تريدها ، وقد نشأ من هذا الاحتكار ما يسمى فى لغة الأمم المتحدة بسوء تدفق الأخبار ، حيث إن سريان المعلومات بشكل عام والأخبار - بشكل خاص - يسير فى إتجاه واحد من الدول المتقدمة إلى الدول العربية والاسلامية ، مما يمثل إختلالا إعلامياً بين الدول المتقدمة أو التى تملك تقنية الاتصال والدول التى لا تملك ، هذا الاختلال ظاهرة خطيرة تمس بنية العلاقات الدولية ، التى تميل باضطراد إلى التمركز - فى ظل النظام العالمي الجديد - فى أيدي عدد قليل من الدول المتقدمة والشركات المتعددة الجنسيات ، والتى لن تهمش فقط من أدوار غيرها فى البيئة العالمية ، ولكنها ستلغى هذه الأدوار أو تحددها بما يتواءم مع مصالحها من خلال التدخل المباشر فى تحديد مدخلات صنع القرار فى الدول النامية ، من خلال التدفق الاعلامي ، والجهود الواعية المنظمة والمخططة التي تقوم بها الدول الكبرى التى تملك تكنولوجيا

---

(١) د. عواطف عبد الرحمن قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث - القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٧ ، صـ ٨٩ .

الاتصال أو تسيطر على وكالات الأنباء العالمية وشبكات المعلومات والأقمار الصناعية .[1]

والأخطر من ذلك فى المستقبل القريب كما يقول الدكتور راسم الجمال : «نحن لا نستبعد أن نشهد حدوث شكل جديد من الاستعمار (استعمار ثقافى ـ أو غزو فكرى] تقوم به دول أو شركات غير وطنية بإدارة دول أخرى من خلال تحكمها فى مداخل صنع السياسة واتخاذ القرار، ومن خلال إدارة عملية تشغيل المعلومات ذاتها بحكم قدرتها على إنتاج الأنباء والمعلومات الاستراتيجية .[2]

وتشير الدراسات أيضاً أن وكالات الأنباء العالمية تمارس شكلاً أخراً من أشكال الهيمنة الاتصالية يتعدى البعد الكمى ليصل إلى مضمون الرسائل الإعلامية ، هذا النوع من الهيمنة يمكن تحديده فى صورتين اثنتين.

الأولى: التركيز على آخبار الأزمات والصراعات أو ما يتصل بمفهوم الأخبار السلبية .

الثانية : إقحام الرؤية الخاصة لهذه الوكالات فى الأحداث الدولية ، واعطاء هذه الأحداث صفات ونعوت تلائم وجهات نظرها .

إن وسائل الاتصال الغربية بما فيها وكالات الأنباء العالمية تركز فى تغطيتها الاخبارية لدول العالم الثالث على أخبار الأزمات والصراعات

---

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، بحوث الصحافة والاعلام بين العالمية والخصوصية ، رؤية نقدية ، بحث مقدم إلى أعمال الحلقة الثانية لبحوث الاعلام ، كلية الاعلام، جامعة القاهرة ، مايو ١٩٩٦ .

(٢) د. راسم الجمال التدفق الإعلامى من الشمال إلى الجنوب ، الأبعاد والاشكاليات مجلة عالم الفكر الكويتية م ٢٣ ديسمبر ١٩٩٤ ، صـ ١٦٠ .

والكوارث ، ونفس النتيجة فيما يتعلق بتغطية الصحافة الأمريكية لدول أسيوية ، وفى دراسة حول تغطية صحيفة نيويورك تايمز لأخبار أفريقيا خلال ثلاث سنوات ١٩٨١ ـ ١٩٨٥ .

اتضح أن هناك تركيزاً متزايداً على تغطية أخبار الأزمات ، وظهور الاتجاه نفسه فى دراسة للتغطية الإخبارية للوطن العربي فى صحيفتى نيويورك تايمز وواشنطن بوست ، إذ بلغت نسبه أخبار الأزمات ٢,٧٠٪ من مجموع التغطية الإخبارية للوطن العربى فتغطيه وكالات الأنباء لدول العالم الثالث تأخذ نمطاً واحداً ، على عكس تغطيتها للدول المتقدمة التى تتميز بالتنوع .[١]

فضلاً عن ذلك فإن وكالات الأنباء العالمية تعمل على تشويه المضامين الاعلامية فى أغلب الأحيان عن عمد ، وفى بعضها عن جهل للمراسلين ناقلى الأخبار ، وهناك العديد من اشكال التحريف فى صياغة الانباء وتحريرها ، تقوم به وكالات الأنباء العالمية والصحف والإذاعات الدولية ، وقد أشار أحد المسئولين بوكالة رويتر إلى قضية الموضوعية فى تقديم الخدمة الإعلامية والحقيقة أن رويتر وجميع العاملين فيها يعبرون عن النظرة البريطانية فى جميع أنشطتها .

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر هنا أشارت إليها الدكتورة عواطف عبد الرحمن تقول فيها : «إن وكالات الأنباء الغربية ليست وحدها المسئولة عن التبعية الاعلامية فى العالم الثالث ؛ بل إن تأثير هذا النمط المسيطر سواء فى أساليب التغطيه الاعلامية وإختيار الأولويات ، وسواء فى الأنباء أو فى البرامج الاذاعية والتلفزيونية على القائمين بالاتصال فى الدول النامية

(١) د. كرم شلبى ، بحوث ودراسات فى الاتصال الدولى مرجع سابق صـ ٥٣ .

لاعتمادهم على هذه الوكالات فى الحصول على الأخبار والمعلومات ».[1]

حيث تتلقى دول العالم الثالث ٨٠٪ من الأنباء العالمية من لندن وباريس ونيويورك ، وهناك ٣٥ دولة فى العالم ليست فيها وكالات أنباء منها دول عربية ، كذلك لا يوجد لبعض وكالات الانباء الوطنية مراسلون خاصون ، فهى تعتمد اعتماداً كاملاً على الوكالات العالمية للحصول على الأنباء الخارجية تماماً .[2]

ويسرى هذا إلى حد كبير علي الصحف العربية وفى دراسة الدكتور راسم الجمال عن تدفق الأنباء الخارجية فى اثنتى عشرة صحيفة عربية اتضح ما يلي :

إن الوكالات الدولية ما زالت تشكل المصدر الرئيسى للأنباء الخارجية فى الصحف العربية ، ويلاحظ على المستوي القومى العربى تفوق وكالة الانباء الفرنسية ورويتر علي الوكالتين الأمريكتين كمصدر للأنباء فى الصحف العربية ، ولم تظهر وكالة تاس كمصدر منفرد للأنباء الخارجية سوى فى صحيفة واحدة فقط وبنسبة ٠,٤٪ فى صحيفة الراية القطرية ، فى الوقت الذى ظهرت فيه بعض الوكالات الأوربية المتوسطة كمصدر أساسى مثل الوكالات الأسبانية والألمانية والسويدية .[3]

وأوضحت دراسة للأخبار الخارجية فى الصحف الأردنية أجريت عام ١٩٨٣ أن حوالى ٧٠٪ من أخبارها الدولية يصل إليها عبر وكالات الأنباء

---

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العالم الثالث ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٨٧ ، صـ ٨١ .

(٢) المرجع السابق صـ ٨٩ .

(٣) راسم الجمال ، التدفق الإعلامى من الشمال إلي الجنوب ، مرجع سابق صـ ١٥٣ .

العربية الأربع فى حين تتقاسم النسبة الباقية وكالات اقليمية ، علما بأن بعضها يعتمد أحياناً على وكالات الأنباء العالمية فى تغطية أو استكمال معلوماتها حول الاحداث الدولية ، وتتأكد نفس النتيجة بالنسبة لصحيفة جور دون تايمز الأردنية التى تصدر باللغة الإنجليزية حيث ظهر أن الصحيفة تعتمد بشكل كبير على وكالات الأنباء العالمية فى تغطية أخبارها الإقليمية والدوليه .(1)

وهكذا رأينا أن جميع الدراسات العلمية الميدانية تؤكد أن هناك تدفقا للمضامين الاعلامية والمعلوماتية والدرامية من دول الشمال إلى الجنوب ، وأن هذه المضامين تعتبر أداة من أدوات السيطرة الثقافية والتثقيف من الخارج، وأنها تضر بقيمها وهويتها الثقافية وبجهودها الإنمائية .

ورغم هذا الخطر المحدق بالثقافات المحلية عربية أو إسلامية ـ ورغم ما تحمله هذه المضامين من غزو ثقافى وفكرى وقيمى مؤكد . . . إلا أنه يؤخذ على الدول العربية أنها هى التى تلهث وراء هذا الانتاج لسد العجز فى الانتاج الدرامى لديها ، ولسد الفراغ فى ساعات البث التلفزيونى وأن هذا الانتاج الدرامى تجلبة الصفوه عن عمد لاشباع اهتماماتها وأذواقها ، وتسعي إلى ترويجه فى الداخل عن عمد تحت شعارات شتى منها التنوير والتمدن والانفتاح على العالم !!! وهذه الصفوه على حد قول الدكتور راسم الجمال ؟ هى ذاتها هى التي تجأر بالشكوى من الغزو الثقافى التي تجلب هذه المضامين .(2)

مما يجعلنا ندق ناقوس الخطر مع الدكتور الجمال ونضع هذه النتيجة

---

(1) د. كرم شلبي ، بحوث ودراسات فى الاتصال الدولى ، مرجع سابق صـ ٥٥ .

(2) د. راسم الجمال ، التدفق الاعلامى من الشمال إلى الجنوب مرجع سابق صـ ١٦٠ .

المخزية والخطيرة فى الوقت ذاته أمام صانعى القرار والقائمين بالاتصال فى الدول العربية الإسلامية مؤكدين على خطورة التغطية الغربية الشوهه للدول العربية والاسلامية ، التى تسهم بدور كبير فى تكوين صوره نمطيه وذهنية سيئة لهذه الدول والشعوب فى أذهان الافراد والجماعات على مستوى العالم.

الفصل السادس

الشركات المتعددة الجنسيات والغزو الثقافى

الشركات المتعددة الجنسيات والغزو الثقافى :

بادئ ذى بدء هناك ملاحظة هامة وهى أن الشركات المتعدده الجنسية تتخذ من الولايات المتحدة الامريكية مقرها المركزى ، وتتميز بتعدد وتنوع استثماراتها وعالمية تمويلها ، وتعتمد على الأقمار الصناعية، وأحدث الأجهزة الالكترونية فى تنفيذ سياساتها الاعلامية عبر القارات والدول ، وترتبط فروعها فى دول العالم الثالث بشبكة اتصالات شديدة التماسك والتشابك والتعقيد ، وتصب فى النهاية فى دول المركز بالعواصم العالمية الكبرى .(١)

وتحاول هذه الشركات إلسيطرة على النشاط الثقافى والاعلامى فى دول العالم الثالث من خلال استخدام نظم الاعلام الحديثة ، وتكنولوجيا الاتصال فى بث الرسائل الاعلانية والبرامج التى تخدم أهدافها ، وانها بذلك تسهم فى خلق أنماط عالمية للاستهلاك ؛ تؤدي إلى ترسيخ الأشكال العديدة ، والتي تعتبر تهديداً مباشراً للذاتيه الثقافية والشخصية القومية فى الدول النامية ، من خلال عرض قيم أخلاقية أجنبية ، وقيم استهلاكية تتناقض مع قيمنا(٢) العربية والاسلامية ، وأيضاً مع متطلبات خطط التنمية فى هذه الدول مما يؤكد أن هذه الشركات مرتبطة بفكرة العولمة، وأنها أداة للتغلغل الاقتصادى للسيطرة الايديولوجية والثقافية فى دول العالم الثالث ، وأنها تمارس دورا الأن يشبه بما كانت تقوم به الحكومات الاستعمارية فى الماضى ، فضلا عن ذلك تسيطر هذه الشركات علي عدد كبير من وسائل الاعلام فى دول العالم الثالث ، وتؤدى دوراً كبيراً فى تسويق الثقافة الغربية، وتداول الأنباء والمنتجات الثقافية والمواد التعليمية ، والكتب

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية ـ مرجع سابق صـ ٥٥ .
(٢) المرجع السابق صـ ١٠٥ .

والأفلام والمعدات والتدريب ، وتحت ستار نشر الثقافة العالمية تقوم هذه الشركات باخضاع واستبعاد الثقافات الوطنية ، وفى سبيل ذلك تقوم بتحديث أساليب الغزو ، واضعه فى اعتبارها الاحتياجات الخاصة بكل مرحلة ، وبكل فئة إجتماعية داخل كل دولة من دول العالم الثالث .(١)

إن الوحدة التنظيمية الاقتصادية الأساسية فى الاقتصاد هى الشركة متعددة الجنسيات ، وتهمين فئات قليلة من هذه التكتلات العملاقة من رأس المال ـ ومعظمها فى الحوزة الأمريكية ـ على السوق العالمية لانتاج وتوزيع السلع والخدمات ، وما يهمنا هنا ـ وله دلالته البالغة ـ هو أن هذه الهيمنة تمتد كذلك إلى إعداد وتوزيع ناتج الاتصالات الثقافية . . فأثناء قيامها بتعزيز أهدافها ضماناً للاسواق العالمية ، وعدم عرقلة الحصول على الأرباح تضطر إلى التأثير والهيمنة إن أمكن على كل مجال ثقافى إعلامى ، يبعدها عن السيطرة الكاملة على بيئتها الوطنية .(٢)

وتنقل أجهزة البث المنتشرة فى كل مكان المواد الثقافية التى انتجتها المراكز الرئيسية فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وجمهورية ألمانيا الإتحادية ، وبعض المراكز الأخرى ، كذلك تسيطر هذه الشركات ، وخصوصا الأمريكية والإنجليزية منها على سوق النشر ، وتجد منشوراتها رواجاً كبيراً فى دول أسيويه وأفريقية ، وتمثل الكتب العلمية والتعليمية والتكنولوجية نسبة كبيرة فى هذه الصادرات ، وتقوم دور النشر الغربية بدور رئيسى فى احتكار إنتاج الأفلام وأجهزة وشرائط الفديو وغيرها من وسائل التكنولوجيا الحديثة فى مجال المعلومات والاتصال ، وقد تخصصت بعض

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية مرجع سابق ص٩٠ ـ ٩٢ .
(٢) هربرت شيللر ، الاتصال والهيمنة . . مرجع سابق صـ ١٩ .

الشركات فى صناعة الالكترونيات وتصنيع الأجهزة اللازمة للانتاج والارسال والاستقبال فى الراديو والتلفزيون والتى تتمركز فى الدول الصناعية ، وهناك خمس عشرة مؤسسة غير وطنية تسيطر بطرق مختلفة على الجزء الأكبر من عمليات الاتصال والاعلام الدولي ، وتتخذ مقرها فى خمس دول هى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والمانيا الغربية واليابان وهى على التوالى أ ب ١ م ، وجنرال الكتريك وآى تى تى ، وفليبس (الولايات المتحدة) وسيمنس «المانيا الاتحادية» ووستون الكترك ، ح.ت،أى وستنجهاوس الولايات المتحدة ، أى ،ج تليفونكى «المانيا الاتحادية» شورت امريكان روكوبل ، آر سى ايه الولايات المتحدة ، ماتسو شيتا اليابان ، أى تى تى ايروكس الولايات المتحدة ، سى ، جى ، إيه فرنسا .(١)

ويرى البعض أنه خلال السنوات العشر الماضية استطاعت الشركات الإعلامية العالمية تحقيق العولمة فى ثلاث مجالات هى الموسيقى والرياضة والترفية ، فقد بلغت مبيعات التسجيلات الموسيقية فى العالم ٣٥,٤ مليار دولار عام ١٩٩٥ منها ١١ مليار داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، بينما بلغ الإنتاج الإعلامى على الأنشطة الرياضية العالمية تسعة مليارات دولار مما جعل من صناعة الترفية الأمريكية ثانى أكبر الصادرات وأحد المكونات الأساسية فى الميزان التجارى .(٢)

ويصف الدكتور مصطفى المصمودى فى كتابه «النظام الاعلامي

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية . . مرجع سابق صـ ٩٣ .

(٢) د. حمدى حسن التحديات الإعلامية لانظمة الإعلام الوطنية فى العالم الاسلامى، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى ، رابطة الجامعات الإسلامية ، القاهرة ٢٨ ، ٢٩ نوفمبر ١٩٩٨ .

الجديد» هيمنة البرامج الترفيهية على عقول أطفالنا قائلا : إن ما يقدم للجمهور وخاصة الأطفال الصغار غالباً ما يتنافى مع الأسس التربوية التي تسير عليها المدرسة ، فبقدر ما نسعى إلى التخلص من شوائب الاستعمار ومخلفاته فى مجالات التربية ، فإن الأمر يدعونا فى كل قطر من الأقطار العربية والدول الاسلامية إلى مزيد من التحكم فى فجوى برامجنا الاعلامية، والسيطرة على الاتجاه الذى تسير فيه من الوجهة الحضارية .(١)

لقد أغرقت المنتجات الثقافية الأمريكية دول العالم الثالث ، وتعد منتجات شركة والت ديزني نماذج أصلية تحتذى فقد وصلت إلى ملايين المشاهدين والقراء خارج الولايات المتحدة ، اعتماداً على المبدأ التى أقرته السياسة الأمريكية مبدأ التدفق الحر للمعلومات فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات ، وأمام فيضان المادة الثقافية الأمريكية لم تجد شبكات وسائل الاعلام الوطنية مناصا من نشر هذه المادة ، ومن ثم بدأت تتكرر الإشارة إلى السيادة الثقافية والخصوصية الثقافية والاستقلال الثقافى والخوف والقلق من سيطرة الامبريالية الثقافية الأمريكية .(٢)

فى مقال بعنوان «ويوجد بيننا أمد قصى» يعبر أحمد عبد المعطى حجازى عن القلق الذى ينتاب كل مثقف مصرى ، بل كل مثقف من دول العالم الثالث من الغزو الثقافى الأمريكي بالذات ومن الذوبان التى يمكن أن تتعرض له الثقافات الوطنية من جراء جبروت وسائل الاتصال الأمريكية ، والتى أصبحت تهدد به ثقافات الأمم الأخرى وتهاجمها فى عقر دارها أو تفرض عليها من الأفكار والعادات والقيم ما ترفضه وتأباه لأنه لا يفيدها ولا يحفظ عليها شخصيتها ولا يرعى مصالحها .

(١) سلسلة عالم المعرفة الكويت عدد ٩٤ .

(٢) هربرت شيللر ، الاتصال والهيمنة . . مرجع سابق صـ ٥٠ ـ ٥١ .

«فالمادة الاعلامية ليست مجرد أخبار ومعلومات وحقائق تقدم بالفرنسية كما تقدم بالانجليزية والعربية ، وإنما هى أيضاً أفلام ومسلسلات ومسرحيات تتبنى أذواقا ووجهات نظر خاصة تفرضها على المشاهدين بعد أن تخدرهم تخديراً وتسلب عقولهم كما يفعل المنومون مع مرضاهم »[1].

كذلك تؤكد الدراسات أن دول العالم الثالث أصبحت أسواقا للمنتجات الاعلامية لدول الغرب الرأسمالى ، حيث يقوم بتصدير قيم وأفكاره بهدف ترويج سلعه ومنتجاته الاقتصادية والعسكرية والثقافية ، ويتبنى هذا الرأى الكثير من المؤلفين الغربيين أنفسهم مثلرشيللر وجربنر وندزكى ، وريتا أوبرين التي قامت بدراسة نقل الأشكال المؤسسية والبنى التنظيمية من البلدان الكبرى إلى المجتمعات الاقل نموا فى ميدان الإذاعة والتلفزيون ، ولاحظت أن هيئات مثل الإذاعة البريطانية BBC وهيئة الإذاعة والتلفزيون الفرنسية ، وشبكة CBS , NBC الأمريكية لا تصدر بناها فحسب ، إنما تصدر الفلسفات التى تنظم سير العمل فيها ، وتظل آثارها باقية بدرجات متفاوته فى إفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية ، وتتدعم هذه الآثار بمواصلة نقل الموظفين إليها ومختلف الأشكال التدريبية التي توفرها والبرامج المستوردة أو البرامج النموذجية[2] ، التى تؤدى دوراً كثيراً فى الغزو الثقافى أو الإعلامى ، كما يتضح ذلك فى الصفحات التالية :

(١) الاهرام ٢٢ يوليو ١٩٩٨ .

(٢) هربرت شيللر ، الاتصال والهيمنة الثقافية مرجع سابق صـ ٢٤ .

الفصل السابع

المنتج الاعلامى المستورد والغزو الثقافى

المنتج الاعلامى المستورد والغزو الثقافى :

تعتبر ظاهرة إستيراد البرامج التلفزيونية والافلام السينمائية الغربية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص إحدى المظاهر البارزة لظاهرة الغزو الثقافى ، فالتواجد المكثف لهذه البرامج مثل دلاس ، وفالكون كريست ، وزينه ، والجرئ والجميلات ونايت بايدر والكارتون المدبلج وأفلام رعاة البقر وغيرها الكثير لا تهدف إلى التسلية والترفيه فحسب ، بل تسعى بالدرجة الأولى إلى ترويج قيم ومعايير إجتماعية ، وأنماط حياته تخدم خلق ثقافة عالمية تهئ الأجواء أمام بروز وأتساع الأنماط الاستهلاكية عالمياً .

إن الأسلوب الجديد للاستعمار العالمى يقوم على الهيمنة الثقافية التى من خلالها يتم نشر مفاهيم ثقافية وفكرية معينة تخدم وجود ونفوذ الدول الاستعمارية ، حيث يتم مسخ الثقافة الوطنية وتشويهها ، والاقتناع بأنها ثقافة لا تواكب العصر ومتطلباته الحضارية ، فيصبح كل ما هو أجنبى له السيطرة والتفوق ، وهو المثال والنمط الذى يجب أن يقلد فى ميادين الحياة كافة فى الأدب والفن والموسيقى وتقاليد الحياة اليومية من المسكن والملبس ولغة التخاطب .[1]

والجدير بالذكر هنا أن الدول المتقدمة لا تصدر ما تصدره من أفلام ومسلسلات وتمثيليات الخ سعيا وراء مكسب مادى فحسب ، وإنما القصد هو تخريب العقول ومحاولة اقتلاع كل القيم من جذورها واستبدالها بقيم غريبة عن القيم الاسلامية الأصلية ، ورغم خطورة ذلك فإن معظم الدول العربية والإسلامية تستورد أكثر من نصف البرامج التلفزيونية التى تعرضها .

---

(١) د. محمد سيد محمد ، الغزو الثقافى ، والمجتمع العربى المعاصر ، مرجع سابق صـ ٢٤ .

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية المصدر الرئيسى للبرامج المستوردة سواء فى مجال التلفزيون أو السينما ، حيث تستورد هذه الدول معظم الافلام التى تعرضها شاشات السينما فى هذه الدول من الشركات الأمريكية والتى أبرزها :

1 - m G m
2 - Columbia picIures
3 - Twentieth century fox
4 - M C A
5 - Walt Disney Ptoductions

وعلى سبيل المثال لا الحصر استوردت المغرب خلال عام ١٩٨٧ ألف وثلاثة وتسعين شريطاً سينمائيا ، في حين استوردت الكويت ثلاثمائة شريط سينمائى وتلفزيونى ، لقد ظهر من خلال البحوث والدراسات الاعلامية أن محطات التلفزة العربية تستورد ما بين ٤٠٪ إلى ٦٠٪ من برامجها من مصادر مختلفة ، أهمها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ، هذه البرامج تحتل مركزاً هاما فى ساعات البث التلفزيونى اليومى، نظراً لكونها برامج تسليه وترفيه ، وتبرز خطورة هذه البرامج إذا عرفنا أنها تمثل النسبة الأكبر من ساعات البث التلفزيوني العربى .[١]

وتزيد نسبة الخطورة إذا عرفنا أيضاً أن النسبة العالية من المشاهدين أميين ، حيث ترتفع نسبة الأمية بين أفراد المجتمع العربى بأنواعها الثلاثة الأبجدية والأمية الحضارية وأمية الممارسة والتطبيق ، وبالتالى فإنهم يجلسون مبهورين بما يشاهدون فى الأفلام والمسلسلات ، بل ويقلدون عن جهل ما يشاهدونه ، ولعل ما نراه اليوم من تقاليع غربية وانماط سلوك وما

(١) د. كرم شلبى ، بحوث ودراسات فى الاتصال الدولي مرجع سابق صـ ٥٧ .

نلمسه من قيم وأفكار ، إنما هى تتاح الأفكار المسمومة التى تغلغل فينا يوماً بعد يوم ، حتى أن نوادى الفيديو اليوم قد أصبحت مليئة بمثل هذه الأفلام، التى تفوق فى عددها ونوعيتها كل ما هو محلى ، وهذا الوضع ربما ينطبق على كثير من الدول العربية والإسلامية .

ولا شك أن هدف هذا الانتاج الغربى المشاهد فى غالبيته هو التعبير عن مجموعة من القيم الثقافية التغريبية المدمرة ، التى تروج بأساليب فنية فى غاية الدقة والابهار والصنعه ، وعلى مستوى جيد من الشكل والصياغة بحيث تجعل المشاهد أو المستمع فى حالة تقبل وانبهار وتجاوب برغم ما تحمل من سموم ، تؤكدها هذه الدراسة للدكتور عدلى رضا الذى يشير فيها إلى أن أكثر القيم السلبية ظهورا فى المسلسلات الأجنبية التى تعرض على الشاشة المصرية هى الفردية والقسوة والعنف والتعصب والعدوانية ، والخيانة والسرقة والاختطاف والخداع ، وأن هذه المسلسلات الأجنبية ولا سيما الأمريكية منها تروج باستمرار لجوانب الانحلال الخلقى كإقامة علاقات جنسية غير مشروعة بين الفتيان والفتيات ، كما أنها تعكس ضعف الروابط الأسرية والإجتماعية على السواء .[1]

وترجع أسباب اعتماد محطات التلفزة العربية على المنتج المستورد الذى انتج فى الغرب إلى العوامل التالية :

١ ـ العلاقات السياسية ، ذلك أن النظام السياسى يؤثر بدرجة عالية على عملية تدفق البرامج التلفزيونية ، فالدول العربية التي كانت تتبنى نظاما اشتراكيا تحرص على استيراد جزء من برامجها من المعسكر الشرقي ،

(١) عدلى سيد رضا ، تدفق البرامج من الخارج فى تلفزيون جمهورية مصر العربية مع تحليل مضمون بعض المواد الأجنبية فى التلفزيون العربى ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاعلام جامعة القاهرة .

كما هو الحال بالنسبة لسوريا ، وكذلك مصر خلال عقد الستينيات وأوائل السبعينيات ، أما الدول التى تتبنى النظام الرأسمالى ، فغالباً ما تعتمد فى برامجها المستوردة على الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا .

٢ ـ البرمجة وزيادة ساعات البث فمن الأسباب التى دفعت مؤسسات الاعلام العربية إلى الاعتماد على البرامج الأجنبية ؛ الزيادة المضطردة فى عدد ساعات البث دون أن يواكب هذه الزيادة تطور مواز فى مجال صناعة البرامج التلفزيونية المحلية .

٣ ـ شعبية البرامج الأجنبية ورغم أن هذا العامل لا يشكل حالة عامة، إلا إنه من الأسباب التي تقدم أحيانا لتبرير عملية الاستيراد ، ويرى البعض أن تنوع موضوعات هذه البرامج بالاضافة إلى احتوائها عناصر الحركة والسرعة والدراما ، وكذلك مستواها الفني المرتفع قياسا بالمنتج المحلى عوامل تساعد على انتشارها .

٤ ـ تكلفة البرامج الأجنبية ، فشراء البرامج الأجنبية فى الغالب أقل تكلفة من إنتاج برامج محلية ، وتلجأ بعض المحطات إلى استئجار بعض البرامج الأجنبية ، والسبب وراء ذلك رخص أثمان البرامج الأمريكية بشكل خاص يعود إلى تغطية تكاليف إنتاجها أساساً من السوق الأمريكية .[١]

فنتيجة لضعف الامكانات المادية لبعض الدول العربية والاسلامية وندرة الامكانات الفنية ، ومحدودية الكوادر الاعلامية المؤهلة لبعضها الأخر مقابل الطموحات الاعلامية المتزايدة ، والمنافسة فيما بينها ، والتى تفوق كثيراً القدرات الانتاجية الفعلية (ماديا وفنياً وتكنولوجيا وبشريا) للمؤسسات الحكومية وللمؤسسات الخاصة المنوط بها العمل التلفزيونى ،

---

(١) د. كرم شلبى ، بحوث دراسات فى الاتصال الدول ، مرجع سابق صـ ٥٨ .

وفى ظل غياب وضوح الهدف الأساسى لأغلب هذه القنوات ، وعدم تحديد غاياتها وطبيعة الجمهور المستهلك لها أمام المخطط والمنفذ . . تزايدت ظاهرة الاعتماد الكلى أو الجزئى على المواد الاعلامية المستوردة ، وأحياناً الكوادر الاعلامية الأجنبية ، غربية أو غير غربية عن طريق الشراء أحياناً ، وتحت شعار المعونات الثقافية أو برتوكولات التعاون أحياناً أخرى لتلبية ومواجهة احتياجاتها اللانهائية لتغطية ساعات البث ، والتى تمتد أحياناً علي مدى الأربع والعشرين ساعة ، اعتقادا بأن طول ساعات البث يحقق للدولة أو المؤسسة التلفزيونية الهيبة ، دون الالتفات إلى ما قد تحمله هذه الواردات من قيم وسلوكيات أو أفكار وتوجهات ومعايير ونماذج متباينة مع خصائص مواطنيها ، حيث تنعدم العلاقة بين كثير مما يقدم من مضامين وأشكال والواقع الاجتماعى والعقلي لهم ، مما يؤثر بدوره على المدى البعيد بفعل التأثير التراكمى لوسائل الاعلام علي منظومة القيم والأفكار ، وينعكس بالتالى على الاطار الدلالى للأفراد وعلي نسق الحياة الثقافية والنظم الاجتماعية[١] .

فضلاً عن أن بعض مضامين الانتاج الاعلامى المستورد تعمل على إضعاف الوازع الدينى والأخلاقى عند الفرد نتيجة نقل الواقع المادى الذى يسود الغرب بكل ما فيه من تناقضات ، كذلك تعمل مضامين البرامج المستوردة ، على تشويه صورة الانسان فى مناطق مختلفة من العالم ، فقد ارتبطت شخصية السود بالإجرام فى هذه البرامج على سبيل المثال ، ويهمنا هنا ما تصوره الأفلام السينمائية الأمريكية التى تعاملت مع شخصية الانسان العربى ، فقد ربطت هذه الشخصية بالصور التالية :

١ ـ الثراء الخرافى .   ٢ ـ الهمجية والتخلف .

(١) د. منى الحديدى ، اختراق القائم بالاتصال ، مرجع سابق صـ ٢٠ .

٣ ـ اهدار حقوق المرأة .   ٤ ـ توجه عام معاد للديمقراطية .

٥ ـ عدم الأمانة والكفاءة .

٦ ـ الانقسام والصراع والتطرف وسفك الدماء .

٧ ـ الشبق الجنسى وبخاصة وراء المرأة الغربية وسوف نعالج هذه الأمور فى الفصل الخاص بالصورة الذهنية التى ترسمها وسائل الاعلام الغربية عن العرب والمسلمين .

الفصل الثامن

شبكات المعلومات والغزو الثقافى

شبكات المعلومات والغزو الثقافى :

أدركت الولايات المتحدة الأمريكية فى وقت سابق أهمية شبكات المعلومات فى الهيمنة والتأثير الثقافى ، حيث يقول ليونارد ماركس المدير السابق لوكالة المعلومات الأمريكية فى الخطاب الذي القاه أمام المؤتمر الذي نظمته وزارة الخارجية الأمريكية فى عام ١٩٧٤ : «لا يمكن أن تنهض استراتيجيتنا على نظام وسائل الاتصال الراهن» وقبل أن يغدو البث المباشر عبر التوابع الصناعية ممكنا . . ستوجد مع ذلك شبكات الكترونية عالمية ، يعمل بعضها بالفعل ، وسوف يطرح وجودها مشكلات واقعية بصدد تدفق المعلومات والتكامل الثقافى ، وسوف تنقل هذه الشبكات كميات ضخمة من المعلومات عن طريق دوائر كهربائية بالغة السرعة تخترق الحدود الوطنية، وفضلا عن ذلك فإنها لن تكون فى متناول الاشكال التقليدية للرقابة والسيطرة .

وأن التوسع العالمي فى نقل البريد الكترونيا وشبكات المعلومات ونظم استرجاع البيانات عن طريق بنوك المعلومات ، سوق يؤثر تأثيراً هائلا فى السنوات المقبلة على الثقافات بدرجة أكبر من تأثير أى نظام للبث المباشر ، ويتعين على استراتيجيتنا أن تضع فى اعتبارها كل هذا .[١]

---

(١) هربرت شيللر ، الاتصال والهيمنة ، مرجع سابق صـ ٦٠ .

الإنترنيت

نشأت الانترنيت فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أواخر الستينيات حيث كان العسكريون يبحثون عن وسيلة لربط جميع أجهزة الكمبيوتر الكبيرة من نوع الاطار الرئيسى الموجود فى الولايات المتحدة ، وكان الغرض من ذلك هو الرغبة فى الوصول إلى نظام يضمن النقل الآمن للبيانات التي تنقل بين أجهزة الكمبيوتر هذه ، نظام له طرق بديلة غير محدودة يمكن استخدامها فى حالة التعرض لهجوم (خاصة الهجوم النووى وليس له تحكم مركزى أو مراكز قيادة .

وفى عام ١٩٦٩ قامت وكالة مشروعات البحوث المتقدمة (A.R.P.A) بوزارة الدفاع الأمريكية لتوصيل أربعة أجهزة كمبيوتر من نوع الإطار الرئيسى بعضها ببعض وأطلقت على هذه الشبكة إسم شبكة الأربانت ARPANET وبمرور الوقت تم توصيل هذه الشبكة بالشبكة الحربية ميلنت Milnet ونمت هاتان الشبكتان إلى أن أصبحتا ما يطلق عليه اليوم «اسم الانترنيت» .[١]

فى السبعينات أتسع نطاق استخدام الشبكة لتضم بعض الهيئات الحكومية وبعض الجامعات ومراكز الأبحاث ووزارة الدفاع الأمريكية ، وقد ظهرت فى عام ١٩٨٠ بعض الشبكات الأخرى والخاصة بهيئات ومجموعات للأبحاث مثل شبكة (البتنت) BITNET وغيرها ، وقد تم توصيل هذه الشبكات بالانترنت بعد إنشائها .

وفى عام ١٩٨٦ قامت المؤسسة القومية للعلوم بأمريكا (NSF)

---

(١) د. عبد اللطيف أبو السعود ، الانترنت ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ صـ ١١ ـ ١٢ .

national science foundation .

التى كانت تمول العديد من مراكز الحسابات العملاقة فى الولايات المتحدة بتوصيل خمسة مراكز للحسابات العملاقة أو ما يطلق عليها الحسابات السوبر Super computers والموجودة بأماكن متباعدة والخاصة بالأبحاث وسميت هذه الشبكة باسم نسفنت (Nsfnet) وثم هذا الربط بأحدث ما توصلت إليه علوم الاتصالات بالاستعانة بالأقمار الصناعية حتى صارت هذه الشبكة هى العمود الفقرى والأساس للانترنت وعرفت باسم الطريق السريع Superhighway والذي يحمل كميات هائلة من المعلومات والتى تنتقل إلى مسافات بعيدة بسرعات عالية ، وكانت سرعة نقل المعلومات خلال هذه الشبكة محدودة فى ذلك الوقت ، ولم تكن الشبكة الخاصة بمؤسسة العلوم القومية (NSF) أول شبكة معلومات يتم تطويرها فى الولايات المتحدة ، بل كان هناك العديد من الشبكات الصغيرة داخل الجامعات ومراكز الأبحاث القومية ، ولكنها كانت الشبكة الأولى التى تربط بينهم ، وتعتبر هذه الشبكة الصغيرة هى النواه لشبكة الانترنت الحالية التى تضم الملايين من مستخدمى الحاسبات الآلية حول لعالم ، وبالفعل تحقق ما أرادته مؤسسة العلوم القومية الأمريكية ، وتم ربط العديد من الجامعات والمراكز العلمية بالشبكة .

وقامت الدول الأخرى بانشاء شبكات الحاسبات ، وتم توصيلها بالإنترنت ، وعلى سبيل المثال فإن كندا كونت ثانى أعظم شبكة من شبكات الحاسبات بعد امريكا وهى تسمى (سى.أى.نت) وهى تعادل فى إمكانياتها شبكة (C.A.net) النسفنت وهما الآن على ضخامتهما تمثلان جزئية من الانترنت .

وبمرور الوقت أخذت الشبكة الخاصة والتجارية الدولية منها والمحلية

تنضم إلى الانترنت لتصبح جزءا منها ، وفى عام ١٩٨٧ قامت مؤسسة العلوم القومية بتكليف كل من شركة مريت المتحدة للاتصالات nsf وشركة اى بى ام وشركة ام.سى.اى بالاشتراك مع ولاية ميتشجان بتطوير الشبكة.. والعمل على زيادة سرعة نقل المعلومات ، وكان هذا المشروع بمثابة قفزة واسعة للمعلومات والاتصالات فى الولايات المتحدة ، فلم يحدث فى ذلك الوقت أن قامت أية هيئة حكومية أو غير حكومية بمشروع معلومات شبكية على هذا النطاق الواسع ، وكان عدد المراكز وشبكات المعلومات الإقليمية المتصلة به قد بلغ ١٧٠ مركزاً فى ذلك الوقت .

ويعود تاريخ اطلاق كلمة «الانترنت» على هذه الشبكة لعام ١٩٨٣ ليكون هو الاسم المميز لشبكة المعلومات العالمية .

وتعتبر شبكة الانترنت من الناحية الفنية شبكة الشبكات العالمية فهى الشبكة التي تعمل بين الالاف من شبكات الكمبيوتر المنتشرة فى جميع أنحاء العالم ، ولا تملك شبكة الانترنت أجهزة الكمبيوتر التى تتألف منها الشبكة ، ولكن الشبكة تتألف من أجهزة كمبيوتر يملكها أفراد ومؤسسات ومدارس ووكالات حكومية ومعاهد بحثية منتشرة فى كل مكان فى العالم، وقد ولدت شبكة الانترنت نتيجة حاجة أجهزة الكمبيوتر هذه لأن تتخاطب مع بعضها البعض ، أو بعبارة أخرى لإتاحة الفرصة أمام مستخدمى الكمبيوتر للمشاركة فى المعلومات التى تختزنها أجهزة الكمبيوتر .

ويتحكم فى عمليات الاتصال فى شبكات الانترنت مجموعة من القواعد المعقدة التى تتحكم فيها برامج الكمبيوتر المرتبطة مع بعضها بالأسلاك والكوابل والالياف الضوئية ، وشبكات الميكروويف والاقمار الصناعية .

ومن الناحية الفنية فإن أى جهاز كمبيوتر يمكنه الاتصال بشبكة الانترنت إذا استخدم بروتوكول الشبكة المعروف باسم TCPAP لكى يتبادل المعلومات مع أجهزة الكمبيوتر الاخرى التي تستخدم هذا البروتوكول .[1]

والآن تثور بعض التساؤلات عن الدور الذي يمكن أن تلعبه تكنولوجيا الشبكات فى الغزو الثقافى ، تؤكد المعطيات الاعلامية والأدبيات العربية التى كتبت عن تأثير للشبكات وخاصة شبكة الانترنت أنها تساعد على نشر القيم والعادات والتقاليد المنافية للثقافة العربية الاسلامية ، وأنها تساعد على بث الأفلام والصور الاباحية .

تؤكد جريدة الشرق الأوسط أن نصف المشتركين فى الانترنت يستعملونها لمشاهدة الأفلام والصور الاباحية[2]، كما تذكر روزا اليوسف فى مقال بعنوان فى أمريكا اليوم ومصر غدا .. ألف صورة جنسية على الكمبيوتر ، جاء فى هذا المقال أن قضية الجنس على الكمبيوتر وخلال شبكة الانترنت أصبحت مثاره بشكل كبير .. وهم يشغل بال الكثيرين فى بعض بيوت مصر .[3]

كذلك جاء فى جريدة الشرق الأوسط فى مقال بعنوان «طريق المعلومات السريع بتحول إلى منبع للأخطار - سيناريوهات قتل وتهديدات لصوصيه عبر شبكة الانترنت ، جاء فى هذا المقال أن طريق المعلومات السريع أفسح المجال أمام الاشقياء للتغلغل عبر شبكة الانترنت لتوجيه

(١) د. محمد أديب رياض ، شبكات المعلومات «الحاضر والمستقبل» القاهرة المكتبة الاكاديمية ١٩٩٧ ، صـ ٢٥ - ٢٦ حسن حامد ، الاختراق الاعلامي - مرجع سابق .

(٢) الشرق الأوسط ١٩٩٥/٩/١٤ .

(٣) روزا اليوسف نوفمبر ١٩٩٥ .

تهديداتهم كيفا يشاءون ، وفى ظل غياب قوانين رادعة أسهبوا فى ترويج بضاعة تتمثل فى عرض أفلام إباحية وما شابه ذلك ، مما يخالف القيم والتقاليد الاسلامية والعربية .[1]

كذلك تشير جريدة الحياة اللندنية : أن هناك جماعات من الشواذ تستغل الأطفال الأبرياء لاشباع رغبات الشواذ جنسياً ، تستخدم شبكة الانترنت للارتباط مع الشواذ مثلهم فى دول العالم الأخرى ،[2]

وإذا كان ما ذكرناه لا يحمل شبه الاتهام المؤكده .لأنه لا يخص المسلمين أو العرب وحدهم ، فمما لا نجد له مبرراً أنه قد تم إستخدام هذه الشبكة الدولية «الانترنت» مؤخراً فى الهجوم على الإسلام والمسلمين ، ومحاولة تشويه القرآن الكريم ، ومحاولة النيل من المصطفى ﷺ ، ففي منتصف هذا العام ١٩٨٨ بث موقع يتبع شركة أمريكا أون لين (A.O.L) أربعة نصوص تتشبه بسور القرآن الكريم تدعى «المسلمون» «والإيمان» «والتجسد» «والوصايا» وتهتم هذه النصوص المزيفه المسلمين بأنهم فى ضلال مبين ، وتلفق على لسان المصطفى ﷺ أقوالا مكذوبه ، وتسخر من القرآن الكريم ، وتتشبه هذه النصوص المحرفه بالسور القرآنى من حيث الشكل والمحاكاة اللغوية وتقليد النظم القرآنية ، وتقسم كل سوره إلى عدد من الآيات ، وبعد أن نشر تقرير بصحيفة الأهرام أعلن فيه الأزهر اتخاذ الاجراءات القانونية ضد الشركة المسئولة عن هذا الموقع ، توقف الموقع ، وقامت شركة أمريكا أون لين ببث اعتذار للمسلمين عن هذه الاساءة ، ولكن بعد فترة عادت هذه السور المزعومة تبث فى أربعة مواقع من خلال شركة أخرى تسمى جيو ستيز Geoseties وقد تم اغلاق ثلاثة منها ، بعد

(١) الشرق الأوسط ٢٤ مارس . ١٩٩٦ .

(٢) جريدة الحياة ٩/٤/١٩٩٥ .

الاعتراضات التي وجهت للشركة من جانب بعض المؤسسات الاسلامية ، وعدد كبير من المسلمين الذين هددوا بوقف اشتراكاتهم فى الشبكة إذا استمرت هذه المواقع .[1]

ثم عادت هذه المحاولات لتشويه القرآن الكريم تبث على موقع جديد يتبع شركة ثالثة بدءاً من اكتوبر ١٩٩٨ ، وقد نشر تقرير عن هذه الواقعة بجريدة الأهرام[2] كما ذكر أحمد بهجت فى عموده صندوق الدنيا «بالأهرام»[3] أنه بدأت تظهر على شاشة الانترنت مواقع لمهاجمة الاسلام كدين ورسالة ، مما يجعلنا نقرر أن أعداء الاسلام يتخذون فنونا من الوسائل لهدم الاسلام ، وأن الحملات المعادية للاسلام تتزايد وتأخذ أشكالا عديدة ، بل أنها تستفيد من أحدث تكنولوجيا الاتصال والمعلومات للتشكيك فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهدم أركان الاسلام ، وتشويه صورته فى العالم كله ، ومن هنا تتضح حاجة المسلمين إلى أخذ مواقع على شبكة الانترنت العالمية للزود عن الدين الاسلامى الحنيف، والرد على الشبهات والتحريفات التى تثار حول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وخاصة تلك المواقع التى تبث على الانترنت تحت اسم «مواقع إسلامية» مشبوهه الاسلام منها براء .

وأكبر الادلة على ذلك أنه قد تم رصد ٢٦ موقعاً إسلامياً على الانترنت تقوم بتشويه الفكر الاسلامى ، وتروج للفرق الضالة الخارجه عن الاسلام كالأحمدية التى أسسها غلام أحمد أثناء الاحتلال الإنجليزى للهند ، والتى

---

(١) محمد يونس ، الأزهر يطالب بمحاكمة الشركة المتهمة بتحريف القرآن على الانترنت الاهرام ١٩٩٨/٧/٢٧ .

(٢) محمد يونس ، مواجهة محاولة جديدة لتحريف القرآن ، الأهرام ١٩٩٨/١/١٤ .

(٣) ومقال بعنوان الانترنت ١٩٩٨/٦/٢٤ .

تتفرع منها القاديانية وكلتاهما من الفرق التى أكدت المجامع الفقهية الإسلامية أنها خارجه عن العقيدة الاسلامية ، ورغم ذلك فإن هذه الفرق تقدم نفسها على الانترنت باعتبارها تمثل الاسلام الصحيح .

فضلاً عن ذلك فهناك بعض المواقع الاسلامية مجهولة المصدر ، وتتعمد الإساءة إلى الإسلام وتشوه قضايا المسلمين الجوهرية مثل قضية القدس ، حيث يزعم أحد المواقع أن المسجد الأقصى شيد فوق الآثار اليهودية[١] ، ولأن الانترنت إحدي وسائل العولمة بخاصة على المستوى الفكرى والثقافى ، فإن أية مناقشة لقضية الثقافة الاسلامية والعولمة لا تنفصل عما يكتب عن الاسلام عبر هذه الشبكة .

كل ذلك يؤكد أن المتغير الثقافي له أهميته فى هذا العصر عصر ثورة الاتصالات ، ولم يعد فى المستطاع غلق الأبواب أمام هذه المتغيرات الثقافية التى تجتاح العالم كله .

ولقد أن الأوان أن يلتقى المسؤلون عن الاعلام والفكر والثقافة فى العالم العربى والاسلامى ، لكى يدرسوا بجدية أساليب الاساءة المنظمة إلى الاسلام بمظاهره المختلفة ، ويحللوا أسبابها ويضعفوا تصوراً لعمل كبير يبدأ بالفكر وينتهى بالاعلام وليس العكس .[٢]

---

(١) الاهرام ٤ يناير ١٩٩٩ ـ حوار بعنوان ألف موقع اسلامى على الانترنت أجرى الحوار ، الصحفى محمد يونس مع الدكتور السيد الشاهد مستشار وزير الأوقاف فى مصر .

(١) الإعلام والاسلام ، مقال بقلم الكاتب الصحفى رجب البنا ، الأهرام بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٩٩٤ .

الفصل التاسع

الاعـــلام الغـــربى
وتشويه صور الاسلام والمسلمين

الاعلام الغربى وتشويه صور الاسلام والمسلمين :

إن من يقوم بعملية رصد لمسار ونشاط وممارسات الاعلام الغربى فى الفترات الأخيرة من هذا العصر ، يدرك أن هناك ظاهرة التوجه العدائى فى حركة الاعلام الغربى ضد المجتمعات الاسلامية ، وأن هناك حملة مخططة تظهر بين فترة وأخرى لاذكاء روح العداء بين الغرب والدول الاسلامية ، مما يثير الكثير من التساؤلات ، وعلامات الاستفهام ، هل هذا الأمر من قبيل العفوية والنشاط الاعلامى العام ؟ أم أن هناك مخططات لتذكية هذا العداء، ومؤامرات يقودها الاعلام الغربى ضد الاسلام والمسلمين والعرب منهم على وجه الخصوص ؟

لقد اهتمت وسائل الاتصال والاعلام الغربية بالاسلام فى محاولة لتشويه صورة الاسلام ، والخلط بينه كدين سماوى يدعو إلى أسمى المبادئ الحضارة والقيم الشرقية وبين سلوك سيئ لبعض المسلمين - وهم قله - بل هناك من يذهب إلى أن الاسلام بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وهزيمة الشيوعية أصبح الشغل الشاغل لوسائل الاعلام الغربية ، والعمل على كيفية احتواء الاسلام ، بل ومواجهته فى عقر داره ، واستئصال مده فى منابعه الأصلية .[1]

لقد أفرزت الحرب الباردة مجموعة من التحولات العميقة اعيد من جرائها تشكيل الخريطة السياسية للعالم ، تبعا للتغيير الذي لحق ميزان القوى ، وبانتهاء هذه الحرب ، عاد الاعلام الغربى إلى طرح المسألة الاسلامية على محك المناقشة والنقد والتقويم ، وكان من نتائج ذلك تبدل سياسة العالم الجديد تجاه العالم الاسلامى بل تجاه الاسلام نفسه ؛ الذى

(١) الأهرام ١٩٩٣/٧/٢ حوار مع الدكتور رشدى فكار .

أصبح العدو الرئيسى للغرب ، خاصة بعد انهيار الشيوعية ، وانحسار الاشتراكية ، كما صرح بذلك الرئيس الأمريكي نيكسون فى مذكراته التى نشرها قبل وفاته بقليل .(١)

وفى كتابه بعنوان «الفرصة السانحه» التحديات التي تواجه أمريكا يقول : يحذر بعض المراقبين من ان الاسلام سيصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة ، وأنه مع التزايد السكانى والامكانات المادية المتاحة سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة ، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدوانى للعالم الاسلامى ، ويزكد هذا الرأى بأن الاسلام ، والغرب متضادان ، وان نظرة الاسلام للعالم تقسمه إلى قسمين دار السلام ودار الحرب ، حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية ، وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب .(٢)

كما يستعرض ما عليه العالم الاسلامى من قوة ، ومن عمق حضارى وتاريخى ، ويحذر فى الوقت ذاته من التهاون بالاسلام والمسلمين قائلا وعلينا أن نرسم سياسة طويلة المدى ، تؤدى إلى توجيه العالم الإسلامى الوجهة الصحيحة التى تتفق مع تاريخه وحضارته السابقة ، وعلينا فى الوقت ذاته أن نتعامل مع المشاكل الحالية العاجلة كمشكلة أمن الخليج والصراع العربى الاسرائيلى الذى يمكن أن يؤدى إلى مزيد من إراقه الدماء، وما لم نتمكن من حل هذه المشاكل ، فإن مهد الحضارة سوف يكون مقبرة

(١) د. يوسف الكتانى ، الحوار بين المسلمين والغرب وأفاقه المستقبلية ، بحث مقدم إلى المؤتمر التاسع «الإسلام والغرب» ١٤١٨ ـ ١٩٩٧ القاهرة المجلس الاعلى للشؤن الاسلامية .

(٢) ريتشاود نيكسون ، الفرصة السانحة ، ترجمة أحمد صدقى مراد ، القاهرة دار الهلال ١٩٩٢ صـ ١٣٥ .

لها .. إن العالم الإسلامى هو حضارة مهمة تبحث عن شخصيتها التاريخية ، لقد تمكن هذا العالم من تحرير نفسه فى الخمسينات والستينات وبعد ذلك اندفع وهو مغمض العينين فى إتجاه عدم الانحياز واتحاد العرب وسياسة رد الفعل ، وسوف يعاود البحث فى التسعينيات ، وما بعدها عن مكانه اللائق بين دول العالم .»[١]

إن خبراء الاستراتيجية الأمريكية والغربية يصورون الاسلام على أنه هو العدو والخطر القادم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ، وقد ظهرت تيارات من التعصب السياسى والاجتماعى ضد المسلمين ، بشكل خاص فى عدد من الدول الاوربية فى مقدمتها فرنسا والمانيا وبلجيكا وايطاليا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية ، تراوحت بين البرامج السياسية والاعتداءات الجسدية ، فقد راودت المؤسسات الغربية هواجس ومخاوف من بروز قوة عالمية ثالثة يمكن أن تؤدى دوراً حاسما فى تغيير الخريطة السياسية والاجتماعية للعالم بأسره ، خاصة وان تنبؤات المستشرقين بامكانية انبعاث اسلامى لها ما يبررها ، عندما انتشرت الصحوة لاسلامية بين شباب العالم الاسلامى فى العقد الأخير ، وأمام هذا الخطر القادم من الشرق فى تصورهم !!!

لم يكن للغرب بدليل غير استخدام سلاح الاعلام لتشويه وتدمير صورة الاسلام فى أذهان الشعوب الغربية .[٢]

واستطاعت وسائل الاعلام الغربية بفضل ما تتمتع به من قوة كبرى تكنولوجية وفنية وتأثيرية ، وأيضاً قدرة كبيرة على السيطرة والهيمنة على

(١) المرجع السابق صـ ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢) مجلة منار الإسلام عدد ٣ السنة العاشرة ربيع الأول ١٤٠٥ ديسمبر ١٩٨٤ ، مقال بعنوان الاعلام الإسلامى وتحديات العصر د. زهير الأعرجى .

المستوى الدولى أن تسهم فى نقل الصورة النمطية المشوهه للاسلام والمسلمين من دوائر الدراسات الاستشراقية والسياسية والاكاديمية إلى دائرة أوسع وهى الدائرة الشعبية ، وأن تجعل الصورة النمطية المشوهه عن الاسلام والمسلمين والعرب منهم على وجه الخصوص ضمن إهتمامات الفرد الغربى، حتي اصبحت وخصوصا فى وقت الأزمات حديث المجالس والمنتديات الشعبية .[1]

وحاولت بعض المقالات والدراسات أن تصور الإسلام بالعنف وتربط بينه وبين التطرف ، وتصور تيار ما يسمى بالأصولية الاسلامية بالتطرف الذى لا يتفق وحقوق الانسان والديمقراطية فى زعمهم[2] يكتب ديفيد ويلس أحد كتاب صحيفة كريستين ساينس مونيتور الأمريكية مقالاً يؤكد فيه على أن الاسلام يعتبر المرأة عنصراً بشرياً من الدرجة الثانية بعد الرجل ، وان الاسلام دين متخلف عن الحضارة العالمية الحديثة[3] .

وفى منتصف شهر حزيران عام ١٩٩٢ خرجت مجلة التايم الأمريكية واسعة الأنتشار وعلى غلافها صورة لمئذنه مع يد تحمل رشاشاً ، ومع عنوان رئيس فى أعلي الغلاف نصه «هل على الغرب أن يخاف من الاسلام» ؟!! وفى العدد نفسه تنشر المجلة تقارير مراسليها فى العالم يتحدثون فيها عن انتشار الاسلام وتحوله بسرعة إلى قوة عالمية يجب أن يحسب لها ألف حساب ، خاصة بعد إضافة جمهوريات إسلامية جديدة فى وسط أسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، ثم تحذر المجلة فى مقال استفزازى الغرب من

---

(١) د. عبد القادر طاش ، صوره الاسلام فى الاعلام الغربى ، الزهراء للاعلام العربى ، ١٩٩٣ صـ ٦٠ .

(٢) الأهرام ١٢ فبراير ١٩٩٢ ، مقال بعنوان الاسلام والديمقراطية عاطف الغمرى

(٣) نقلا عن مجلة منار الاسلام ربيع الأول ١٤٠٥ ، ديسمبر ١٩٨٤ .

الاسلام ، لأنه عاد يدق أبواب العالم بقوة ليغيره معيدا نفسه ، عندما دق المسلمون بقوة أبواب أوربا فى القرون الوسطى ، ونشرت صحيفة هيرالد تربيون ناشيونال تحليلا لبريان بيدهام قال فيه : «إن الحرب مع الشيوعية كانت ثانوية قياسا إلى الحروب مع الاسلام ، فالحرب مع الشيوعية استغرقت ٧٠ عاماً ، بينما حروب الغرب مع الاسلام بدأت منذ ١٣٠٠ سنة وما زالت مستمرة ، وإذا استمر الاسلام فى انتشاره فى العالم بهذه السرعة فإن الغرب سيكون أخيراً هو الخاسر فى هذه الحروب .[١]

فالغرب يحمل للمسلمين والعرب فى أعماقه كراهية وطمعا ، وهو لا يخفى ذلك ، بل يرى أن كلمة العرب ترادف الجثة المتعفنه والتخلف ، وتعتقد شرائح من المجتمع الغربى أن الحضارة العالمية عليها أن تزيل العرب من الوجود لكى تستقيم الحياة فى زعمهم ، ويري الغرب فى الصحوة الاسلامية أنها خطر مدمر على الحياة الانسانية .[٢]

ظهرت هذه النغمة فى الكتابات الغربية خاصة بعد فوز جبهة الانقاذ الاسلامية فى انتخابات الجزائر ، واعلان قادتها عن تصورهم للحكم إذا تولوا مقاليده ، وعلى سبيل المثال فإن من أوضح الدراسات التي تعرضت لهذا الموضوع ما كتبه أموس بيرلموتر أستاذ العلوم السياسية فى جامعة واشنطن التى قال فيها : «إن المشكلة التي أثارتها أحداث الجزائر الأخيرة ليست مشكلة الديمقراطية لكنها مشكلة الخصائص الحقيقية للاسلام ، ثم يذكر أن الاسلام أو الاصولية الاسلامية كما يسميها لا تتفق مع حقوق

---

(١) عبد الرحمن حمادى وكاتب سورى مقال بعنوان «الغزو الثقافى للمسلمين وسبل مواجهته» منار الاسلام شعبان ١٤١٩ ديسمبر ١٩٩٨ .

(٢) الاهرام الاقتصادى ، ٥/٤/١٩٩٣ مقال بعنوان «الحرب تحت شعار الدين» بقلم بهى الدين شعيب .

الإنسان ، وأنها معادية للثقافة السياسية الديمقراطية برمتها ، وهناك دراسات صادرة عن المراكز السياسية والاعلامية والإستراتيجية للغرب كلها تلتقى حول ان الأصولية الاسلامية هى القوي الرئيسية الجديدة ، التى تناهض التقدم ، والتي تهدد الاستقرار الاقليمى والدولى .(١)

كما تزخر الصحافة الغربية بنماذج لمقالات صحفية كتبها بعض الكتاب الغربين ونشرتها صحف أو مجلات ذات شهره دولية ، وكلها تركز فى الهجوم على الاسلام وعده مصدر كل الشرور التى تلحق بالغرب والعالم ، ومن ثم فهى تحريض العالم الغرب المسيحى لمواجهة الخطر الاسلامى - كما فعلت صحيفة هيرالد تربيون ناشيونال من قبل - والحيلوله دون اجتياحه للحضارة الغربية المسيحية ، ومن تلك المقالات أيضاً ما نشرته صحيفة صنداى تلجراف البريطانية فى عددها الصادر ١٧ ديسمبر ١٩٧٨ بعنوان مواجهة الخطر الاسلامى للكاتب بيرجون ورشورن يقول فى سياق حديثه عن الانبعاث الاسلامى : كان الغربيون ينظرون إلى العالم المحمدى حتى أوائل هذا القرن كقوة أجنبية على العالم المسيحى ، وعليه أن يخاف منها بكل حق ، ولم يكن هذا لمجرد القوة العسكرية التى كانت الإمبراطورية العثمانية تتمتع بها . . . إن الأعمق من ذلك بكثير كان الخوف المتأصل عبر الأجيال ، القائم على التجربة التاريخية مع دين قديم ، استطاع عبر القرون أن يثبت مقدرته على حقن جموع الرجال بمبادئ استعدوا للموت من أجلها تلك المبادئ المعادية للايمان المسيحى .(٢)

ونشرت مجلة هاربر الأمريكية الشهيرة فى عدد نوفمبر ١٩٧٦ مقالا

---

(١) الأهرام ١٢ فبراير ١٩٩٢ .

(٢) د. عبد القادر طاش : صورة الاسلام فى الاعلام الغربى ، صـ ٩٣ .

لكاتب اسمه أر آى تايرل يقول فيه : إن العرب متعصبون دينيا ، وينتمون إلى دين إرهابى لا يمت إلى الغرب بصله .. وإن وصية العرب لنا تتضمن كلمات الإعتيال والجهاد . والعرب يقتلون لمجرد الاشباع الدينى .. وعلى أية حال فإن العربى يحد شفرته بكل استمتاع .[1]

وقد وصل الأمر إلى تشويه عقائد المسلمين الدينية وفكرهم واسهامهم الحضارى ، والترويج لأفكار خاطئة عن الاسلام ذاته بكل الوسائل لدرجة أن البحث العلمى لم يسلم من هذه الموجه ، وإذا كان تاريخ الاستشراق عريقاً فى هذا المجال ، فإن من العجب أن تتطوع مجلة علميه مرموقة كمجلة «العلم والمجتمع» التى يصدرها اليونسكو بسبع لغات حية تنشر مغالطات عن العقيدة الاسلامية فى عددها رقم ١٥٩ فى حين أن المفترض أن تكون هذه المجلة محايدة ، وان تقوم بنشر المعلومات الحقيقية الموثقة ، خاصة إذا تعلق الأمر بالأديان ، حتى تسهم فى تحقيق المزيد من التعارف والتفاهم بين الشعوب ، وقد كشف الدكتور أحمد فؤاد باشا أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة لصفحة الفكر الدينى فى الاهرام جوانب من المغالطات التى كتبها ديفيد كينج المدير المالى لمعهد تاريخ العلوم بفرانكفورت فى المجلة سالفه الذكر والذى شكك فى ورود نص عن الصلاوات الخمس لدين المسلمين ، وخلط بين الصلاوات المفروضة والتطوع «كشب الدكتور باشا أن بعض مؤرخى العلم من الأوربيين قد نسبوا زورا بعض الاكتشافات العلمية التي اكتشفها المسلمون إلى علماء أوربين مثل نسب اكتشاف الدورة الدموية إلى وليم هارفى ، فى حين أن الذي اكتشفها هو العالم العربى ابن النفيس ، وأضاف قائلا : إن مؤلفات الغربين والمستشرقين تزخر بالعديد من الافتراءات التى تهدف إلى اسقاط الدور الاسلامى الحضارى من حركة

(١) د. عبد القادر طاش : صورة الاسلام فى الاعلام الغربى ، صـ ٩٣ .

التاريخ ، وجعل انجازات علماء المسلمين المعروفة على هامش العلوم الغربية القديمة ، وقصر اسهامات علماء الحضارة الاسلامية على مجرد وظيفة ساعى البريد الذى نقل الحضارة الاغريقية القديمة .(١)

ولقد أصل هذا العداء للاسلام وغذاه ووجهه تاريخ الاستعمار للعالم الاسلامى ، وما بثه المستشرقون المتعصبون من أراء وأفكار خاطئة فى العقل الغربى شوهت صورة الاسلام وحرفت حقائقه وتاريخه ، وعملت على تكريس العداوة بين الاسلام والغرب حتي تتصادم الحضارات ، وتتنافر الأفكار والثقافات وتتعمق الهوه بين العقليات ، بل ولم يسلم من ذلك حتي أبناء المسلمين من خلال الغزو الفكرى الذى حاول تشكيكهم فى هويتهم وحضارتهم ، ويكفى الاشارة هنا إلى توصية صدرت عن مؤسسة التراث والمحافظة فى واشنطن عام ١٩٩٤ تتعلق بما اسمته موضوع التهديد الاسلامى لشمال أفريقيا تصور الفهم الخاطئ للاسلام والمسلمين والخوف الظاهر من الصحوة الاسلامية ، وهي توصيات موجهة لسياسات الولايات المتحدة لمواجهة ما سمته التوصية «بالخطر الأحمر الجديد» ويقصد به الاسلام والمسلمون ، وهو نفس التصور الذى أعرب عنه «ويلى كلاس» الذى صرح بأن الأصولية الاسلامية تشكل الآن تهديداً للغرب كما فعلت الشيوعية من قبل ، وهى أفكار وتصورات تعمل على زيادة التباعد بين الاسلام والغرب، وتدفع إلى التصادم والتنافر بين الحضارتين مما ينم على الجهل بالاسلام.(٢)

---

(١) الأهرام ، حوار محمد يونس مع الدكتور فؤاد باشا بعنوان لا يزال مسلسل العدوان على المسلمين وعقيدتهم مستمراً ، مجلة علمية دولية تروج المغالطات عن الشريعة الاسلامية ـ بتاريخ ١٩٩٢/٨/٢١ .

(٢) د. يوسف الكتانى ، الحوارين المسلمين والغرب وأفاقه المستقبلية ، مرجع سابق.

وتكشف الدكتورة أنا مارى شميل عن سبب التعصب الأوربى ضد الاسلام فى مقدمتها لكتاب الدكتور مراد هوفمان «الاسلام هو البديل» قائله: «إن الجهل هو السبب الذى يجعل الحضارة الغربية تقف من الاسلام والمسلمين هذا الموقف ، وتشير إلى لوحات فنانى القرن التاسع عشر الغربيين ، وكانو شغوفين بتصوير المسلمين أو المحمدين كما يسمونهم !!! كان المسلمون يصورون على أنهم برابرة همجين شاهرين السيوف ، أو عزقى فى الترف ومجالس اللهو والحسان[1].

وهى نفس الصورة التى تحاول أن ترسمها وسائل الاعلام الغربية والأمريكية ، وتروجها فى العالم كله عبر وسائل الاتصال الجماهيرى ذات القدرة الخلاقة فى العرض والاقناع والتأثير .

لقد كان للمستشرقين دورهم المؤكد فى رسم صورة للاسلام والمسلمين فى الذهن الغربي منذ أمد بعيد ، وتغذية وسائل الاتصال والاعلام الغربية بهذه الصورة المغلوطه المشوهه ، فالفكر الاستشراقى كان من أبرز الروافد التى استقت منها تلك الوسائل أفكارها ومضامينها وتصوراتها .

والجدير بالذكر أن مواقف المستشرقين من الفكر الاسلامى وقضاياه تختلف باختلاف أديانهم ومذاهبهم الفكرية والسياسية ، فمن بين صفوف المستشرقين اليهودى الحاقد على الاسلام وأهله ، والمسيحى الراهب المبشر بدينه ، والشيوعى الملحد الذى لا دين له ، ولابد ان تختلف مواقف هؤلاء جميعاً لانتمائهم الفكرى والعقدى ، ولكن من أسوء هؤلاء المستشرقين هم اليهود ، فمنهم من يتهم الاسلام بأنه دين فرضه محمد واتباعه بقوة السيف والحروب ، ومنهم من ينكر نبوه محمد ، ويرى ان ما جاء به من تعاليم

(١) أحمد بهجت مقال بعنوان الجهل هو السبب ، لأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢٨ .

قرآنية أخذها عن أحبار اليهود وكهنة النصارى ولا يكاد يخلو كتاب استشراقي يتصل بالاسلام ونبيه الا وهو يقطر سما وحقدا على الاسلام والمسلمين ، ويفصح بعض المستشرقين عن هذا الحقد المعلن فى تعليق صريح له على الحملات الصليبية ، فيقول : «وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن ، وعلى ما تضمنه من قوانين الأخلاق الساذجة» .[1]

إن معظم المستشرقين تسخرهم الكنيسة لخدمة أهدافها الحقيقية ، وهى تشويه الاسلام وتوجيه المطاعن إلى النبى ﷺ ، والدس فى علوم المسلمين وتراثهم ، وذلك من أجل ان يثبت رجال الكنيسة لجمهور المسيحين أن الاسلام دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قتله وسفاكو دماء يميلون إلى أشباع رغباتهم وملذاتهم الجسدية ؛ تنفيذاً لتعاليم دينهم ، الذي يبعدهم عن كل سمو روحى وأخلاقى ، واستمر هذا الهجوم المركز على الاسلام ، والذى تحركه عصبية رجال الكنيسة[2] إلى أن أطل العصر الحديث باختراعاته وحضارته الجديدة ، وتقنياته الاعلامية التى تولت مهمة رسالة المستشرقين فى تشوية الاسلام والمسلمين .

وقد لعب اليهود والصهاينة فى العصر الحديث دوراً كبيراً فى تشويه صورة الاسلام والمسلمين والعرب منهم على وجه الخصوص ، من خلال

(١) د. محمد السيد الجليند ، الاستشراق وأثره فى علاقة الاسلام بالغرب ، بحث مقدم إلى المؤتمر العام التاسع ١٤١٨ ـ ١٩٩٧ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة.

(٢) مجلة رسالة الجهاد الليبية ، السنة العاشرة عدد رمضان ١٤٠٠ من وفاة الرسول ﷺ شهر الطير إبريل ١٩٩١ مقال بعنوان «الاستشراق فى الميزان» د. محمد فتح الله الزيادى .

وسائل الاعلام الغربية والأمريكية ، حيث كان للوبى الصهيونى تأثيره المباشر ، وغير المباشر فى رسم هذه الصورة المشوهة وتأكيد هذه الانطباعات السيئة وتغذيتها باستمرار ، وقد ازداد هذا الدور بعد ظهور الصراع العربى الاسرائيلى فى منتصف القرن العشرين ، وبروز قضية فلسطين على الساحة العالمية والدوليه .

وفى دراسة للصحافة الألمانية تشير نتائج البحوث أن الصحافة الألمانية تسيئ كثيرا إلى العرب ، وتتحيز بشكل مباشر إلى اسرائيل فتصف اسرائيل بانها البلد الصغير الشجاع المدافع عن وجوده ضد التهديد العربى ، وامتدحت الجندى الإسرائيلى ، ووصفت الكيان الصهيونى بأنه بلد الديمقراطيه والبناء الصناعى ، وبالمقارنة مع هذه الصورة لاسرائيل ، فقد صورت تلك الصحافة العرب ووصفتهم بالمتأخرين وغير المتطورين ، وبشكل عام لم يكونوا شجعانا ، فهم يفرون جزعا أمام الجيش الاسرائيلى المنتصر ، ووصفت هذه الصحافة الجندى العربى بأنه غير ملم بالتقنية الحديثة ، وبالتنظيم الإدارى ، وأرجعت التخلف إلى نمط عقليته الشرقية ، البعيدة كل البعد عن التقنية والتنظيم كما أدانت الصحافة الالمانية الاتحادية المقاومة ضد الاحتلال الصهيونى ، ووصفت المقاتل الفدائى الفلسطينى بالإرهابى .(١)

كما تستخدم الصحافة الغربية الفنون الصحفية المختلفة للاساءه إلى العرب والمسلمين مثل استخدام الكاريكاتير والصورة الساخره ، والإعلان فى الهجوم على الاسلام والمسلمين ، فى صحيفة الاكسبريس الفرنسية ٢٤

(١) د. عبد القادر طاش ، صورة الاسلام فى الاعلام الغربى صـ ٨٧ ـ ٨٨ ؟

نوفمبر ١٩٧٩ تظهر على غلافها صورة الكعبة وقد كتب بالخط العريض الاسلام يعنى الحرب ، وفى بارى ماتش ٧ ديسمبر ١٩٧٩ نجد على الغلاف «الحرب المقدسة» راسلونا فى النقاط الساخنة من الاسلام .(١)

واستمرارا للحملة الاعلامية الغربية للهجوم على الاسلام والمسلمين تنشر صحيفة تيدى دى جردان الفرنسية موضوعات تهاجم فيه الشيخ الشعراوى رحمه الله وتصفه بأنه شخصية مخيفة يستضيفه التلفزيون المصرى لعدة ساعات يهاجم فيها الغرب ، ويحرض المصريين على مقاومة الالحاد والعلمانية !! وانتقدت الجريدة تدخل الأزهر ومنعه لنشر بعض الكتب وتدخله فى بعض الأفلام والأعمال التلفزيونيه ، كما استنكرت الجريدة الغاء الخمور فى بعض المحافظات ، وعدم الاختلاط داخل المدارس وانتشار الحجاب ووصفت موقف الحكومة المصرية بالضعف !!(٢)

فضلا عن ذلك دأبت شبكات التلفزيون الغربية التي تبث عبر الأقمار الصناعية على محاولة النيل من مصر كبلد إسلامى ، ومن العروبة والاسلام من خلال عرضها لأفلام سيئة معدة خصيصاً لتشويه الظاهرة الاسلامية والسخرية من بعض تعاليم الاسلام .(٣)

---

(١) المرجع السابق ص ٨٩ .

(٢) جريدة الحقيقة ٢٤/٤/١٩٩٣ مقال بعنوان صحيفة فرنسية تهاجم الشيخ الشعراوى والحكومة المصرية .

(٣) الأهرام ١٧/٥/١٩٩٣ .

الفصل العاشر

صورة المسلمين والعرب في الاعلام الأمريكي

صورة المسلمين والعرب فى الاعلام الأمريكى :

تؤكد الدراسات التى أجريت عن تغطية عدد من الصحف والمجلات الأمريكية لحرب السويس عام ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ أن العرب مفككون ومتنافسون فيما بينهم ، وأنهم لا يتسمون بالأمانة ، ولا يوثق بهم وأنهم يعيشون عيشة بدوية ، وفى مستوى معيشى متدن ، وتسود بيهم اتجاهات غير ديمقراطية ، فى حين أن الاسرائيليين قد حازوا فى نظر الصحافة الأمريكية على صورة زاهية براقة ، تركز على روحهم البطولية ، واعتمادهم على أنفسهم وكفاءتهم ، كما تبرز أمانتهم وثقتهم .[١]

فصورة العرب والمسلمين فى نظر المواطن الامريكى ، وكما يراها فى السينما والتلفزيون والإذاعة والصحف والكتب صورة نمطية لا تخرج عن كونهم متوحشين إرهابين منافقين وثنيين ، يعبدون القمر لا يشغل بالهم سوى خطف الطائرات ، وخطف النساء الغربيات ، وكل سكان العالم الاسلامى رجال دين ملتحون وشيوخ وإبل وخيام وبدو متخلفون لاخلاق لهم ، وحريم خانعات لا وظيفة لهن سوى إرضاء الرجال ، والعرب والمسلمون جميعاً مدانون ومسئولون عن أى عمل إرهابى يرتكبه واحد منهم، وهم خطر على الأمن القومى الأمريكى ، ويسددون الاسلحة النووية إلى الولايات المتحدة وإسرائيل ، وفى الكاريكاتير يختص العربى والمسلم بشخصية الأجنبى الإرهابى ، الذي يسعى إلى تدمير الحضارة الأمريكية ، والاسلام فى نظر وسائل الاعلام الأمريكية ، هو مصدر الخطر الجديد بعد زوال الخطر الشيوعى .

---

(١) د. عبد القادر طاش ، صورة الاسلام فى الاعلام العربي ، مرجع سابق ، ٨١ـ ٨٢ .

وفى دراسة قام بها الدكتور جاك شاهين أستاذ علوم الاتصال الجماهيرى فى جامعة الينوى ، وقام بترجمتها إلى العربية الدكتور السيد عمر ، يرى جاك شاهين من واقع دراسته للصورة النمطية للعرب والمسلمين فى الثقافة الشعبية الأمريكية ، فالعرب يمثلون فى المنظور الأمريكى الآخر الثقافى الخطير ، واحتمال أن يتبوأ الخطر الأخضر أى الاسلامى مكان الخطر الأحمر الشيوعى وجرت المساواة بين الاسلام والجهاد والكراهية والتعصب والعنف وعدم التسامح .

تصور وسائل الاعلام الأمريكية العرب الأمريكيين على أنهم غرباء يشكلون خطراً على الأمن القومى ، وأنهم جنبا إلى جنب مع مهربى المخدرات والمجرمين يؤازرون النشاط الارهابى ، ويدينون بالولاء لطغاة الشرق الأوسط .[1]

كذلك تصور وسائل الاعلام الأمريكية على أنهم يعبدون القمر وقالت ذلك جانيت مار شالز عبر الإذاعة يوم ١٥ مايو ١٩٩٦ وكرر الدكتور روبرت مورى مزاعمها فى محاضرات ومطبوعات من بين عناوينها الله إله القمر والاسلام ديانه إله القمر ، وتردد ذلك الهراء الكثير من المطبوعات.. وهذه الأفكار تشق طريقها الآن إلى كتب تحمل عناوين مثل «نيران الاسلام» «والإسلام الملتهب» كما تظهر فى عناوين مقالات مثل «جذور التعصب الإسلامى» «والإسلام قد يكتسح الغرب» «والحرب الاسلامية ضد الحداثة» «والقنبلة الزمنية الاسلامية» .

تقدم وسائل الاعلام الأمريكية وكذلك الكتب المدرسية صورة سلبية للمرأة المسلمة ؟ ففي كتاب للمواد الاجتماعية يدرس للصف السادس فصل

(١) جمال بدوى ، مقال بعنوان افتراءات الاعلام الأمريكى على العرب والمسلمين أخبار اليوم ، ٧ من جمادى الأولى ، ٢٩ أغسطس ١٩٩٨ .

عن الشرق الأوسط يصوره على أنه إبل وخيام ونساء منقبات ، وأن الفتاة المسلمة لا تذهب إلى المدرسة وأن المرأة لا يمكن أن تملك شيئاً ، وأن بوسع الرجل أن يطلق زوجته بمجرد أن يقول لها أنت طالق ثلاث مرات ، ثم يسأل المؤلفون الطالبات أتحب أحدا كن أن تكون امرأة فى الشرق الأوسط ؟

وعلى الرغم من أن العالم قد تقلص مع ظاهرة العولمة ، فإن وسائل الاتصال الغربية ترسم للعربى صورة كاريكاتيرية مماثلة بشكل أسطورى لتلك التى كانت ترسمها لليهود فى أوربا ، فالعربى رجل يلبس جلباباً وعمامة . . . شرير وخطير ، شاغله الأول خطف الطائرات وتفجير مبانى المصالح العامة ، دون أى تمييز بين أفراد تكون أفعالهم موضع رفض ، وبين الأمة التى تنتمى إليها تلك الأقلية .(١)

تعد دراسات جاك شاهين أوسع الدراسات التى تناولت صورة العرب فى التلفزيون الأمريكى إذ قام برصد وتحليل أكثر من ١٠٠ عمل تلفزيونى متنوع فى الفترة من ١٩٧٥ ـ ١٩٨٤ ، وقد تناولت تلك الاعمال جميعها الشخصية العربية وأبرزتها فى برامج الاطفال والبرامج الدرامية والكوميدية والبوليسية والوثائقية .

وقد جمع جاك شاهين تحليلاته وملاحظاته فى كتاب أصدر عام ١٩٨٤ بعنوان «عرب التلفزيون» وتحاول الدراما البوليسية تصوير الانسان العربي وكأنه وحش جنسى مولع بشقراوات أمريكا ، ففى مسلسل «ماكلاود» يتصدى البطل لمجموعة من المهووسين العرب الذين يختطفون إحدى ملكات الجمال فى أثناء احتفالات المسابقة ويقوم ماكلاود بتحرير الفتاة ، ومن معها من جناح الحريم التابع لذلك العربى البدين الذى

(١) أخبار اليوم ٢٩ أغسطس ١٩٩٨ مرجع سابق .

يفضلهن شقراوات صغيرات ، وفى مسلسل أخر اسمه (وندروومن) أو المرأة العجيبة تصور إحدى الحلقات واحداً من المجرمين من رجال الأعمال العرب الجشعين الذى يضع مخططا يضمن عن طريقه انجاح مؤامرة شيطانية تتعلق برفع أسعار الذهب العالمية ، وفضلا عن تصويره كشرير تضيف الحلقة صفة الحمق إلى العربي ، الذى لا يدرك أن العصابة القوقازية التى تعاونت معه إنما تعمل على خداعه .[1]

وهكذا نرى صورة نمطية مشوهة عن عمد عن العرب والمسلمين فى وسائل الاتصال الأمريكية ـ مطبوعة ـ مسموعة ـ مرئية .

---

(١) د . عبد القادر طاش ، صورة الاسلام فى الإعلام الغربى ، صـ ١٠٢ .

خاتمة الدراسة وتوصياتها

• اتضح من خلال هذه الدراسة أنه قد حدث تطور هائل فى مجال تقنيات الاتصال والمعلومات ، وأنه قد حدث تزاوج وتشابك بين تكنولوجيا الاتصال وتكنولوجيا المعلومات المتمثلة فى الحاسب الآلى «الكمبيوتر» وبنوك المعلومات المتطورة .

• إن الأسلوب الجديد للاستعمار العالمى الجديد هو التغلغل الثقافى أو الغزو الثقافى والمعلوماتى ، وفرض الهيمنة والسيطرة على البلدان النامية، ودول العالم الثالث ، وتشويه الثقافة الوطنية ومهاجمتها ، وتحطيم مقومات الأمم وأديانها وعقائدها ولغتها بهدف إيجاد نوع من التبعية على مختلف الأصعده السياسية والثقافية والاقتصادية والتقنية .

• يقف خلف الغزو الثقافى منظمات عالمية ويهودية سافرة أو مقنعه، ومخططات تستغل تكنولوجيا الاتصال ، وهيمنة الوسائل والرسائل الاتصالية الجديدة فى نشر ثقافة معينة وفرض النموذج الغربى ولا سيما الأمريكى على كل بلاد العالم الثالث .

• يمثل الغزو الثقافى خطورة كبيرة على قطاعات كبيرة من أبناء الشعوب العربية والاسلامية ، وبخاصة قطاع الشباب الذى يمثل ثروة الأمة وحاضرها ومستقبلها .

• تهمين الدول الغربية على البنى والصناعاعت الإتصالية التى من شأنها ترسيخ السيطرة الاعلامية على كافة البلاد العربية ، وأن حوالى ٧٥٪ من جملة الواردات العالمية من البرامج التلفزيونية تأتى من الولايات المتحدة الأمريكية وأن ٩٠٪ من العلماء والفنيين فى مجال تطوير تكنولوجيا الاتصال يعملون لمصلحة الدول الغنية .

• وكالات الأنباء الغربية والأمريكية تلعب دوراً خطيراً فى الغزو الثقافى ، وتمارس شكلاً أخر من أشكال الهيمنة الاتصالية ، يتعدى البعد الكمى ليصل إلى مضمون الرسائل الاعلامية بالحذف والتشويه ، والاضافة والتركيز على الأزمات والصراعات والكوارث فى الدول التى يطلق عليها العالم الثالث لاظهارها بالمظهر المتخلف .

• نؤكد على خطورة التغطية الغربية المشوهه للدول العربية والاسلامية التى تسهم فى تكوين صورة نمطية وذهنية سيئة لهذه الدول والشعوب فى أذهان الأفراد والجماعات على مستوى العالم .

• العولمة تلعب دوراً كبيراً فى الغزو الثقافى فهى تسعى لسلب الآخرين إرادتهم وطمس هويتهم وإيجاد نوع من السيادة الفكرية لحضارة معينة على مختلف الحضارات والثقافة المرشحة للفوز فى حلبة الصراع الفكرى العالمى هى الثقافة الغربية الأمريكية ، على أساس فوز الولايات المتحدة الأمريكية اليوم بالسبق الاعلامى الفضائى وتفوقها فى تكنولوجيا الاتصال والتقدم العلمي ، وأن الغزو الثقاقى الأمريكى بات يأخذ علاوة على التصدير المباشر شكل تحويل مباشر للقيم الثقافية الأمريكية ولأدواتها بالذات .

• تؤدي الشركات المتعددة الجنسيات دوراً كبيراً فى الغزو الثقافى والاعلامى فى منطقتنا العربية والاسلامية ، من خلال استخدام نظم الاعلام الحديثة وتكنولوجيا الاتصال ، وتسهم فى خلق أنماط عاليه من الاستهلاك ، التى تعتبر تهديداً مباشراً للذاتية الثقافية ، والشخصية القومية فى الدول النامية ، من خلال عرض قيم أخلاقية أجنبية وقيم استهلاكية تتناقض مع القيم العربية الإسلاميه ومتطلبات التنمية .

• يمثل المنتج الاعلامى المستورد (الأوربى - الامريكى) إحدى المظاهر البارزة لظاهرة الغزو الثقافى ، فالبرامج والمسلسلات والأفلام الأمريكية (دلاس - فالكون كريست - زينه - الجرئ والجميلات - نايت بايدر . . الخ) لا تهدف إلى التسلية والترفيه فحسب بل تسعى بالدرجة الأولى إلى ترويج قيم ومعايير اجتماعية وانماط حياتيه ، ومفاهيم ثقافية وفكرية وسلوكية تخدم وجود ونفوذ الدول الاستعمارية ، حيث يتم مسخ الثقافة الوطنية وازدرائها وتشويهها .

• وكذلك لشبكات المعلومات وعلى رأسها «الانترنت» دور كبير فى الهيمنة والتأثير الثقافى ، حيث إنها تساعد على نشر القيم والعادات والتقاليد المنافية للثقافة العربية والاسلامية ، وأنها تساعد على بث الأفلام والصور الإباحية .

• لقد تأكد لنا من خلال معطيات هذه الدراسة أن هناك ظاهرة توجه عدائى فى حركة الاعلام الغربى ضد المجتمعات الاسلامية ، وأن هناك حملات منظمة تظهر بين فترة وأخرى لاذكاء روح العداء بين الغرب والدول الاسلامية ، وقد لعب اليهود والصهاينة فى العصر الحديث دوراً بارزاً فى تشويه صورة الاسلام والمسلمين والعرب منهم على وجه الخصوص ، من خلال وسائل الاعلام الغربية والأمريكية ولاسيما السينما الأمريكية «هوليود» حيث كان للوبى اليهودى تأثيره المباشر وغير المباشر فى رسم هذه الصورة المشوهه ، وتأكيد الانطباعات السيئة عن المسلمين والعرب وتغذيتها باستمرار .

وقد ازداد هذا الدور بعد ظهور الصراع العربى الاسرائيلى فى منتصف القرن العشرين ، وبروز القضية الفلسطينية على الساحة العالمية الدولية .

• صورة العرب والمسلمين فى وسائل الإعلام الغربية والأمريكية لا تخرج عن كونهم متوحشين - إرهابين - منافقين - وثنيين - متخلفين - خطر على العالم كله - لا يستحقون الحياة ، ولعين بالنساء والجنس .

• إن الصورة التى أمامنا للقرن الحادى والعشرين فى مجال الاعلام توضح أن التركيز الاعلامى على المستوى الدولى سوف يكون للبث المباشر للأحداث والمعلومات والدراما ، من خلال الأقمار الصناعية ، مما يزيد من احتمالات التعرض لغزو ثقافى يلغى الهوية القومية والثقافات الوطنية فى الدول العربية والإسلامية وكافة دول العالم الثالث ، ويحقق المخاوف مما اصطلح على تسميته بالإستعمار الالكترونى .

• تؤكد الشواهد العديدة التى نراها أن الحرب بين الدول هى حرب إعلامية بالدرجة الأولى ، وأن من يسيطر على تكنولوجيا الاعلام والإتصال يستطيع السيطرة علي الدول وتحقيق السيادة وإحراز أى نصر إقتصادى عسكرى وسياسى الخ ، وأن الغزو الثقافى لم يعد مقصوراً على الدول النامية ، وإنما أصبح فى بعض أشكاله ومظاهره ظاهرة عالمية تشكو منه الدول الأوربية ذاتها ولكن بدرجات متفارته .

• أبرز التحديات التى تواجه المجتمعات الاسلامية والعربية فى مجالات الاعلام فهى كما ذكرنا الاحتكار الغربى والأمريكى لنظم المعلومات ومصادرها وتقنيتها ، والتبعية الاعلامية فى كافة الجوانب الاعلامية والاتصالية ولذلك فإن الأمة العربية والإسلامية أمام تحد شرس ، وإذا لم يتم وضع الخطط الكفيلة لمواجهة هذا التحدى ستجرف تيارات العولمة الثقافية الثقافة الوطنية الأصيلة وتؤثر عليها تأثير سلبياً .

• لقد أفرزت ثورة الاتصال التكنولوجية ثقافة عالمية أو كونية واحدة دفعت العالم إلى الإتجاه فى الدخول إلى قالب ثقافى واحد يتم إعداده

غالباً فى الولايات المتحدة الأمريكية بحكم سيطرتها على تكنولوجيا الاتصال والمعلومات .

• من المتوقع فى القرن الحادى والعشرين وفى ظل العولمة والكيانات الكبرى التى تتكون اليوم وسرعة انطلاق التقدم العلمى والتقنى فى الاتصالات والمعلومات على وجه الخصوص ؛ أن يقفز الغزو الثقافي والمعلوماتى إلى مقدمة العوامل المؤثرة فى حياة الانسان لأنه يتوجه إلى غزو العقول والتحكم فيها عن بعد بالسيطرة الثقافية والتوجيه التربوى ، ومن ثم يصبح سلوك الأفراد وفق أهواء هؤلاء الغزاة الجدد .

• إن هيمنة القوى الغربية على صناعة المعلومات فى العالم مع تزايد أهمية المعلومات يشكل استمرارا لظاهرة الهيمنة والتبعية الأمر الذي يفرض بشدة ضرورة البحث عن وسائل توطين تكنولوجيا المعلومات ، وهذا يتطلب أيضاً إعداد كوادر إعلامية قادرة على مخاطبة الرأى العام العالمى ، ذلك أن تأهيل هذه الكوادر يعد البداية الصحيحة لنجاح هذه الاستراتيجية أو التخطيط .

• كما يتطلب تقوية مضمون الرسائل الاعلامية الحالية وبث رسائل بكل اللغات الحية ، يكون هدفها التعريف بثقافاتنا وحضارتنا وقيمنا لدي الشعوب الأخرى ، ولعل هذا هو السبيل الأمثل للتصدى للقنوات الفضائية الأجنبية ، والرد الحقيقى على ما تقدمه وسائل الاعلام الأجنبية من تشويه للشخصية والثقافة العربية والإسلامية ، وتحصين الجمهور من محاولات الغزو الثقافى ، التى تهدد الهويه الذاتية للأمة ، وكذلك لابد من مراعاة التكامل والتنسيق بين ما نقدمه من برامج ومواد ، وما ندعو إليه من قيم وأفكار مع ما تتضمنه برامج المؤسسات الثقافية والتربوية والدينية الأخرى فى المجتمعات العربية والاسلامية ، حتي نتمكن فى النهاية من خلق

شخصية سوية متسقه مع نفسها ومجتمعها . ونشر القيم المعلوماتيه فى العالم الاسلامى ، وليس استيرادها ، وتطوير وسائل جمع ومعالجة المعلومات وتنشيط مشاركة دول العالم الاسلامى فى صناعة المعلومات .

وأخيراً فى ضوء ما سبق من تحديات فرضها مجتمع العولمة أو النظام العالمى الجديد والتى انتفت فيه الحدود ، واختصرت المسافات وبات بامكان المشاهد العربى أن يستقبل كافة القنوات العالمية التي تحمل شتى أنواع المواد والبرامج التى تحملها أقمار صناعية أجنبية فانه لابد مما يلى :

رؤية استراتيجية موحدة لوسائل الاعلام الدولية التى تصدرها الدول الاسلامية لتشكيل الصورة الذهنية الإيجابية للاسلام والمسلمين ، وأن يكون هناك تخطيط قائم على الدراسة الجادة لمواجهة تحديات العولمة فى ظل ثورة المعلومات والاتصالات والقنوات الفضائية ، وأن يشمل هذا التخطيط بناء الانسان المسلم الجاد المستنير المثقف وفقاً للمبادئ الاسلامية والقيم الإنسانية الرفيعة ، وتقديم الصورة الصحيحة والنقية عن العرب والمسلمين بشكل عام، وتصحيح بعض السلوكيات الخاطئة سواء على مستوى الدول والجماعات والأفراد وأن يكون هناك انفتاح اعلامى عربى واسلامى على العالم فى ظل الأقمار الصناعية والسماوات المفتوحة وهذا يتطلب ضرورة امتلاك الدول العربية لتقنيات البث الفضائى ، وتواجد مكثف للقنوات العربية ، ولاشك أن منظومتنا الاعلامية الاسلامية إذا أتيح لها التخطيط الجيد والتنسيق والانتشار الأمثل ، وأفسح لها المجال ، يمكنها خلق بيئة ملائمة لحل كثير من القضايا الستعصية ، وسد الفجوة بين الشعوب ، ومكافحة الهيمنة الاعلامية والثقافية داخلياً وخارجياً .

•••

مصادر البحث ومراجعه

أولا : الكتب العربية والمترجمة :

١ ـ أحمد الخطيب ، معجم المصطلحات العلمية والفنية ، لبنان ، مؤسسة جواد ، ١٩٨٠م .

٢ ـ السيد عليوه ، استراتيجية الاعلام العربى ، القاهرة ، ١٩٩٠م

٣ ـ آلان تورين ، نقد الحداثة ترجمة أنور مغيث ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧م .

٤ ـ بيل جيتس ، المعلوماتية بعد عصر الانترنيت ترجمة عبد السلام رضوان عالم المعرفة ، رقم ٢٣١ ، ١٩٩٩ .

٥ ـ جميل عبد الله الحبشِ ، التنمية الإدارية فى مشاريع التنمية الأساسية للكتاب العربى السعودى ، تهامه ١٤٠٧ هـ .

٦ ـ د . جيهان أحمد رشتى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٧٥ .

٧ ـ ريتشارد نيكسون ، الفرصة السانحة ، ترجمة أحمد صدقى مراد، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٩٢ .

٨ ـ د . ساعد العرابى الحارثى ، مسئولية الاعلام فى تأكيد الهوية الثقافية كتاب نشرته المجلة العربية بتاريخ جمادى الآخره ١٤١٩ هـ عدد ١٨ أكتوبر ١٩٩٨م .

٩ ـ د . عبد الفتاح عبد النبى ، تكنولوجيا الاتصال والثقافة ،

العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٠م .

١٠ ـ د . عبد القادر طاش ، صورة الاسلام فى الاعلام الغربى ، الزهراء للإعلام العربى القاهرة ، ١٩٩٣ .

١١ ـ عبد اللطيف أبو السعود ، الانترنيت ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م .

١٢ ـ د . عواطف عبد الرحمن ، قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العالم الثالث ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٤ .

١٣ ـ د . على جريشه ، محمد شريف الزيبق ، أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ، ط ٣ ، القاهرة ، دار الاعتصام ١٩٧٩م .

١٤ ـ د . محمد أديب رياض ، شبكات المعلومات ـ الحاضر والمستقبل ـ ، القاهرة ، المكتبة الاكاديمية ، ١٩٩٧م .

١٥ ـ د . محمد سيد محمد ، الإعلام والتنمية ، ط ٤ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٨ م .

١٦ ـ د . محمد سيد محمد ، المسئولية الإعلامية فى الإسلام ، القاهرة ، دار الخانجى للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٣ .

١٧ ـ د . مرعى مدكور ، الصحافة والمسئولية الاسلامية ، المندوب الصحفى ، القاهرة ، دار الصحوه ، ١٩٨٨ .

١٨ ـ د . مصطفى عبد الغنى ، الجات والتبعية الثقافية ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

١٩ ـ هربرت شيللر ، الاتصال والهيمنة الثقافية ، ترجمة د . وجيه

سمعان ، ومراجعة د . مختار التهامى ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

ثانيا : دراسات وبحوث منشورة وغير منشوره :

١ ـ د . حمدى حسن ، التحديات الاعلامية لأنظمة الإعلام الوطنية فى العالم الإسلامى ، بحث مقدم إلى ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الاسلامى ، رابطة الجامعات الإسلامية ، القاهرة ٢٨ ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٩٨م.

٢ ـ د . راسم الجمال ، التدفق الإعلامى من الشمال إلى الجنوب ، الأبعاد والاشكاليات .بحث منشور ، مجلة عالم الفكر الكويتية **٢٣** ديسمبر ١٩٩٤ .

٣ ـ د . سعيد إسماعيل ، الإختراق الإعلامى فى مجال التربية ، بحث مقدم إلى ندوة الإختراق الإعلامى للوطن العربى ، القاهرة ، ٢٣ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦ م .

٤ ـ د . عبد الخالق عبد الله ـ قسم العلوم السياسية ، جامعة الإمارات العربية ـ العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ، بحث منشور فى مجلة عالم الفكر ، عدد اكتوبر ١٩٩٩م .

٥ ـ د . عدلى سيد رضا ، تدفق البرامج من الخارج فى تلفزيون جمهورية مصر العربية ، مع تحليل بعض المواد الأجنبية فى التلفزيون العربى رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤ م .

٦ ـ د . عواطف عبد الرحمن ، بحوث الصحافة والإعلام بين العالمية والخصوصية ، رؤية نقدية ، بحث مقدم إلى أعمال الحلقة الثانية

لبحوث الإعلام ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، مايو ١٩٩٦م .

٧ ـ د . محى الدين عبد الحليم ، الرسالة الاعلامية بين العالمية والعولمة ، بحث مقدم إلى ندوة الاعلام الدولى وقضايا العالم الاسلامى ، القاهرة ٢٨ ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٩٨م .

٨ ـ د . محمد كرم شلبى ، دراسات فى الاتصال الدولى مذكرات غير منشورة ، ١٩٩٠م .

٩ ـ د . محمد السيد الجليند ، الإستشراق وأثره فى علاقة الاسلام بالغرب ، بحث مقدم إلى المؤتمر العام التاسع ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧م .

١٠ ـ د . محمد شومان ، عولمة الاعلام ومستقبل النظام الاعلامى العربى ، بحث منشور مجلة عالم الفكر الكويتية ، عدد اكتوبر وديسمبر ١٩٩٩م .

١١ ـ د . محمود علم الدين ، بحث منشور بعنوان تكنولوجيا الاتصال فى الوطن العربى ، مجلة عالم الفكر الكويتية ديسمبر ١٩٩٤م .

١٢ ـ د . منى الحديدى ، اختراق القائم بالاتصال ، بحث مقدم إلى ندوة الاختراق الاعلامى للوطن العربى ، القاهرة ٢٣ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦م.

١٣ ـ د . يوسف الكتانى ، الحوار بين المسلمين والغرب وآفاقه المستقبلية ، بحث مقدم إلى المؤتمر التاسع الاسلام والغرب ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م .

ثالثا: جرائد ومجلات:

١ ـ الأهرام ٢١ / ٨ / ١٩٩٢م .

٢ ـ الأهرام ١٢ / ٢ / ١٩٩٣م .

٣ ـ الأهرام ١٧ / ٥/ ١٩٩٣م .

٤ ـ الأهرام ٢٨ / ٦ / ١٩٩٣م .

٥ ـ الأهرام ٢ / ٧ / ١٩٩٣م .

٦ ـ الأهرام ١٣ / ١٠ / ١٩٩٤م .

٧ ـ الأهرام ١١ / ٤ / ١٩٩٧م .

٨ ـ الأهرام ٤ / ١ / ١٩٩٨م .

٩ ـ الأهرام ٢٤ / ٦ / ١٩٩٨م .

١٠ ـ الأهرام ١١ / ٧ / ١٩٩٨م .

١١ ـ الأهرام ٢٢ / ٧ / ١٩٩٨م .

١٢ ـ الأهرام ٢٨ / ٧ / ١٩٩٨م .

١٣ ـ الأهرام ٤ / ١٠ / ١٩٩٨م .

١٤ ـ الأهرام ٢١ / ١١ / ١٩٩٨م .

١٥ ـ الأهرام ١٥ / ١٢ / ١٩٩٨م .

١٦ ـ الأهرام ٢٥ / ١٢ / ١٩٩٨م .

١٧ ـ الأهرام الإقتصادى ٥ / ٤ / ١٩٩٣م .

١٨ ـ الحقيقة ٢٤ / ٤ / ١٩٩٣م .

١٩ ـ جريدة الحياة ٩ / ٤ / ١٩٩٥م .

٢٠ ـ جريدة الشرق الأوسط ٢٤ / ٣ / ١٩٩٦م .

٢١ ـ أخبار اليوم ٢٩ أغسطس ١٩٩٨م .

٢٢ ـ مجلة رسالة الجهاد الليبية السنة العاشرة ١٤٠٠ هـ من وفاة

الرسول ﷺ ، شهر الطير إبريل ١٩٩١م .

٢٣ ـ مجلة الضياء الإماراتية عدد ذى الحجة ١٤١٨هـ ، إبريل ١٩٩٨م .

٢٤ ـ مجلة منار الاسلام عدد ٣ السنة العاشرة ، ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ، ديسمبر ١٩٨٤م .

***

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٠/٢٠٤٩

دار التحاد التعاونى للطباعة ت : ٢٩٥٦٨١٠